جَلالَةُ السيِّدِ غِيابْ

ماجد مقبل

صفحة كتب
facebook.com/the.boooks

صفحة كتب

الرجاء شراء الكتاب من المكتبات

دعما للكاتب ولكي لا تضيع مجهوداته سدى!

مع تحيات فريق صفحة كتب

www.facebook.com/the.Boooks

إهداء

إلى امرأةٍ في أقصى الأرض تُجدّلُ شَعرَها؛

إلى رجُلٍ يَحُكُّ قلبهُ ليلاً؛

إلى أمي على سجادةِ صلاتها؛

إلى أبي المنسوج من وقتٍ وروح؛

إليّ أيضاً؛ حيثُ لا أعرفني إلا منذُ سطر..!

facebook.com/the.Boooks

هُزّي بجذعي!..

حبيبتي كُتِبَتْ

بماءِ اللازوردِ

من البشرْ

حبيبتي مثل اختصارٍ للغيوم

أتراهُ يَشرَحُها المطرْ..؟

لأجلكِ أنتِ

يحطُّ الحمامُ على راحتيّا

facebook.com/the.Boooks

ولأجلكِ أنتِ

يَهُبّ الهواءُ نشيطاً صباحاً

ويبحثُ عنكِ

وأبحثُ عنكِ

وأنتِ تنامي على ساعديّا..!

لأجلكِ يأتي الربيعُ الفقيرُ

ويختارُ مثلي قبيلَ الغروب

- موعدَ لُقيا -

يُقدّمُ زهراً؛ أقدّمُ نفسي

فيأتي غروبكِ في شفتيّا..!

أريدكِ أنتِ

سلامٌ عليكِ / علينا / عَلَيّا

أريدكِ أنتِ

فقبلكِ كنتُ عظيمَ الفراغِ

وأملأُ نفسي

بجدوى التوحّدِ فيكِ وفيّا

وأذهبُ في بطءِ عقربِ وقتي

ويقضمُ وقتي جنونُ سؤالي:

أليْسَ غموضي وضوحاً جلياً··؟

إذا ما تكدّرَ قلبكِ يوماً

فهُزي بجذعي

ليَسقطَ مني

عشقاً وفياً··!

زدني ابتعاداً!..

زدني ابتعاداً؛ لنْ أفارقَ موضعي حتى
بكاؤكَ لنْ يُبارحَ مدمعي
سأظلّ عُمري في لُقاكَ مُؤمّلاً ويَظلّ
حضنكَ حينَ أبكي مَرجعي
لو كنتَ تعرفُ كيفَ بُعدكَ جارحٌ ما كنتَ
زدتَ الملحَ فوقَ مواجعي
لكَ نبضُ قلبي والْتِفَاتَةُ مُقلتي وحَشاشتي
والرّوحُ بَعدَ مسامعي

والدمّ يَجري في العُروقِ مُهَلِّلاً: للهِ؛ إذ غطّى

بحُبّكَ أضلعي

حتى اللسانُ بحُرقةٍ لكَ لاهجٌ من قبلِ لا

يَهتزّ شوقاً مَخدعي

فيكَ انتحرْتُ تَعلُّقاً وتَشفُّعاً ولأنتَ تعرفُ

ما تكونُ دوافعي

حتى المعرّي جاءَ يَسندُ حُرقتي بالشِّعرِ؛

مَتبوعاً بدعمِ الأصمعي..!

بالأمسِ مُحتفلاً بيومِ لقائنا بالأمسِ أيضاً

كنتُ أكتبهُ النعي..!

لو كنتُ أعلمُ أنّ بصمةَ أُصبعي تُعطيكَ

صَكّ المُلكِ: أقطعُ أُصبعي

في الحبّ لا قاضٍ هُناكَ يَصونهُ أنتَ القضاءُ

/ الخصمُ / أنتَ المُدّعي

فانظرْ إلى جسمي: نحيلٌ رسمُهُ ولسوفَ

تسألُ كيفَ أتركُ مضجعي؟

بالرغمِ من وَجَعي وقِلّة حيلتي أمشي على

مهَلٍ وأَفقِدُهُ الوعي

لا زلتُ آمُلُ في لقائكَ مَرّةً ولأرجونّك

بعدَها تبقى معي

والله لو بالبُعدِ تنوي مصرعي زدني ابتعاداً؛

لن أفارقَ موضعي..!

يا اتزانَ الأرض

أبعث برسالتي لأستجدِي كلّ ما بكِ

كيْ يُدثرني شَعرُكِ

وتوزعني يداكِ على غيمةٍ من نعاسْ

وتتنفسينَ في أذني ببُطءٍ وهُدوءْ

كي أشهدَ أنني لا زلتُ حياً!..

الهواءُ الآنَ رَطْبٌ بالذكرياتْ

وأنا مأهولٌ بالشوقِ كمُجمّعٍ سُكاني!..

أدلِفُ خارجاً من نفسي وأجدكِ داخلي

وأدخلُ بي

كما تدخلُ شرنقةُ الغيابِ في طورِ التنفيذِ

والانبلاجْ!..

كمْ أشتاقكِ

وكمْ هيَ حُمى انتظاري قاتلة

وكم رسمتُ ملامحكِ من ذاكرتي على وجهِ

الضوءْ

ثم أمحوكِ سريعاً كي لا تنتقلي كظلٍ إلى

غيري!··

من أنتِ··؟

يا امرأةً قادرةً على ترتيبِ الطبيعة

فتضعُ كل شيءٍ فوضويّ تبعاً لقانونِ

ابتسامتها

وتضعني في مأزق!··

تضعني في مواجهةٍ مباشرةٍ معَ جمالها

وجبروتِ دلالها

فأسقطُ مغشياً عليّ منَ الذهولْ..

أنتِ امرأةٌ عَجزتُ عن تفسيرِها

وظاهرةٌ أحاديةُ الحُدُوث إذ لا تتكرَر!..

أقسمُ أنّ مثولي أمامكِ مُجازفة

وأنّ حديثي معكِ ضربٌ منَ المستحيلْ

وأنّ لذةَ صوتكِ لا تنتهي بمجردِ انتهاءِ

مسائِنا

فهيَ التي تتكثفُ داخلي

وتتشكلُ بي جيداً!..

يا اتزانَ الأرضْ

يا مدّ القمرِ الذي يَعقِبُ بي جزراً هائلاً

فتُقحلُ سواحلي وتجفّ رمالها

وأسمعُ جناحَ النورسِ:

يُرفرفُ ببُطءٍ ويأسٍ على الأرضِ قبل الموت

ثمّ تأتينَ غيثاً يروي أظمُئي

ولا أستطيعُ التحدث أثناءَ ذلك

فأنا الفاتحُ فمي لأشربْ

أو الفاتحُ فمي دهشةً من جلالةِ حُضوركْ!..

وأعلنُ حينها سَحبَ وَجهي

من مُفاوضتكِ على حجمِ شوقي لكِ

لتنسحبَ أطرافي تباعاً من مُحاولةِ لمسكْ

وشفتيّ من مُمارَسةِ حقها الأبديّ في إبداءِ

الرأيْ

لأجدني بديهياً أذللُ الرغبةَ في إرضائِكْ

واستجداء الباقي بي لأبكي

فالدمعُ لغتي المفضلةُ للحوارِ معكِ

وأنا قد بكيتُ دُونَ علمكِ كثيراً

رغمَ وجودِنا سويةً في ذاتِ اللحظة

ورغمَ عدمِ تغير نبرةِ صوتي!..

يا الله؛ لو كانَ ما بي يتجسدْ

لجسّدتُ ملحمةً تاريخيةً لأنوثتكْ

ولشكلتُ أساطيلَ راسيةً منَ الحروفِ على

ميناءِ فمي

ولبعثتُ بها واحدةً تِلوَ الأخرى للهلاكْ

في محاولةٍ فاشلةٍ أن أصيبَ منكِ غزلاً

أو أصِفَ منكِ مفتناً!..

وأنا الغريب؛

أتقرفصُ داخلي تماماً وأغمِضُ عينيّ

فتلكَ وسيلتي الوحيدةُ للذهابِ إليكِ

إلى عالمٍ من الملائِكةِ

أوّلهُ أنتِ؛ ولا سُلالةَ تليكِ!..

وأعرفُ جيداً مَن أنا

أنا المتوحدُ وَجداً؛ والمتفردُ بكِ مَجداً

وكأنّ لكِ داخلي لاهوتاً لا حدّ لهْ

وكمْ أشتاقكِ؛ وأنتِ التي لا تفارقُ خيالي

ولا تنفكُّ في احتلالِ ذاكرتي

وكأنْ لمْ يُخلقْ سواكِ

سأضعُ نفسي في رحلةِ البحثِ الأولى عن حواءْ

وأرى كمْ سأحتاجُ من الوقتِ حتى أجدكِ

وأؤرخُ الوقتَ بأكوابِ القهوة

فعدمُ وجودكِ أرقْ

وفكرةُ ضياعكِ مني تبعثُ على القلق

أصبحتُ غسقاً يا أنثى الأشياءِ:

ينتهي بذبولِ فكرتي عن إمكانيةِ تَقبُّلِ خَلْقِكِ وماهيّتهِ

ويبتدئُ بفكرةِ حُدوثكِ

كمُعجزةٍ أخيرةٍ على الأرضْ

كما قررَ عقلي واتفقْ!..

أريدك أيضاً:

مَجازَ

استعارةَ

حُلماً

خيالاً

جنوناً

وعقلاً

وأنثى!..

مَن يُعوضني غيابكْ

وصنعْتُ ما يكفي منَ الأعذارِ

كي تبقَي رغمَ الانتماءِ طليقةً

هلْ كانَ يَنقُصُ حبنا شيئاً منَ النسيان

هلْ كانَ يَنقُصُهُ الغياب··؟

الحبّ ليسَ جريمةً كيْ تبعُدِي عني بها

كم قاسيتُ؛ كم عانيتُ

كم أغرقَتْ جسدي الحرارة!··

كلَّ يومٍ كنتُ أفتحُ من بريدِ الضوءِ مظروفاً

وألعنُ بانتظامٍ كلَّ ما يُقصيكِ عني!••

الحبُّ ليسَ هويةَ الغرباءْ

الحبُّ مفقودٌ ليُوجَدْ

الحبُّ موؤودٌ ليُولدْ

ليسَ باباً كانَ مفتوحاً ليُوصدْ!••

أهملتِ أشياءً تُنيرُ لنا النجومْ

أهملتِ ذاتَ الذاتِ أياماً وساعاتٍ كثيرة

فكمْ من مرةٍ أهديتِني سُبُلَ ابتعادكْ

كمْ من مرةٍ لوّحتِ لي

-وأنا على ساقيّ أركعُ-

لا تغيبي!..

أعلنتُ كمْ من مرةٍ أني إلى عينيكِ دوماً في اشتياقْ

ومنعتُ عنكِ شهيّتي؛ وأمرتها بالموتْ

وصَدَدْتُ حلماً كانَ يحلمُ أن يضمكْ

facebook.com/the.Boooks

ونهرتُ نفسي عَن مذاقكْ؛ يا شهداً حراماً لا يُذاقْ!..

لكنّ هذا الوقتَ يأبى أنْ ننامْ

أغفو عليلَ القلبِ يركلني اشتياقي

يَعَضُّ على أصابعِ لهفتي؛ أغفو بعينٍ لا ترى إلاكِ

لستُ النبيّ إذا دعوتُ اللهَ قُرْبكِ فاستجَاب

أو ينجلي هذا الفراق!..

والآنَ؛ وبَعدَ أن هَضمَ اشتياقي لذتي

أعلنتِ حُبكْ٠٠؟

لو يوماً سألتِ الليلَ:

ما سرّ ابتسامي في رسالة٠٠؟

لعرفتِ أني كنتُ مُبتسِماً بوجهِ الحزنِ

يَداي تُفرْقِعَانِ أصابعي قلقاً

وقلبي – كانَ – مُلْكي

–فعلٌ ماضٍ نحوَ النهاية–

كنتُ أفركُ باطِنَيْ كفي ويلسَعُني الغيابْ!٠٠

الحبّ أصبحَ اعتذاراً ها هُنا٠٠؟

وقبلتُ هذا الاعتذارْ

والآنَ عقلِي كيف أرجِعُهُ

وقدْ أضحى رماداً بَعدَ نارْ٠٠؟

منْ يُعوّضُني غيابكْ٠٠؟

نفّذتِ حُكمَ القتلِ واثقةً؛ ألقيْتِني باليَمّ

–لو أبقيتِ لِي جذعاً منَ الأملِ البسيطِ أهُزهُ

–

أبقيتِ لي يأساً يكبّلني؛ وسخطاً ما يُزلزلني

وقافلةً من الألمِ الذي لا ينتهي!٠٠

هلْ أنتِ راضيةٌ٠٠؟

ماذا تركتِ لسالفِ الأيامِ من ذكرى

وأنتِ يا امرأتي بعيدة٠٠؟

لو كنتُ أعلمُ بابتعادِكِ لم أكنْ

حتى صَكَكْتِ تواصلي

ورميتِهِ عَرْضَ الجدارْ

وقطعتِ حبلَ مَوَدّتي

أورَثتِني حالاً بوارْ

جَسَداً نحيلاً كادَ يقصِمُهُ نسيمُ الفجر

عقلاً تبخّرَ في احتمالِ بَرَاءَتي:

هلْ كُنتُ مُذنِبْ..؟

وهل اقترَفتُ خطيئةً معها ليَصفعَني الغيابْ

هلْ رَحلَتْ بلا شتمٍ ولا لعنٍ ولا حتى

عِتابْ!..

facebook.com/the.Boooks

أأسْتحقُّ تجاهلي..؟

هلْ أسْتحقُّ تجاهلاً يُغري الوفاةَ بأنْ تُعَجّلَ

وقتها

وأموتُ في النسيانِ لا ألقى جوابْ..؟

والآنَ كوبُ سعادتي قدْ زلَّ

سَهواً منكِ أو مني / تكسّرَ وانتثرْ

والآنَ مَنبُوذاً مشيتُ على الشواطئِ

أساعدُ موجها بالدّمعِ

ننحتُ ذكرياتٍ – سَوفَ تُمحى – في الصخر

ولقدْ رأيتُ سَعادتي كَبُرَتْ

ألْبَسْتُها دَوماً ثيابكْ

وَوَقفتُ مُنتظراً لرُؤيتها

يومينِ / أرْبعُ / خمسُ أيامٍ وعشرْ

وأنا أؤمّلُ في إيابكْ

وَوَجَدْتُ أنّ سَعادَتي ملْقيةً بَينَ الوَسائِدْ

وتغطُّ في نومٍ عميقْ – نظرْتُ من شِقٍ ببابكْ

–

لو كنتُ أعلمُ ما يكونْ: لقفزتُ من وقتي

إلى وقتٍ قريبٍ قبلَ أن ألقى عذابكْ

وكتبتُ في التاريخِ بالخطِ العريضْ:

ملعُونٌ

وملعُونٌ

وملعُونٌ

وملعُونٌ غيابكْ!..

أحبيني.. وذوبي في حنيني

عمري..

أحبيني؛ وذوبي في حنيني

وطوفي باسمكِ الزهريّ في قلبي

كما تطوفُ دمائي في شراييني

حياتي

قد كانَ حبكِ قَدرَ أنملتي

والآنَ يكبرُ

ثمّ يكبرُ

حتى فاضَ عن جسدي

فطيري بي بعيداً عن بداياتي

وشدّيها نحوَ آخرتي

لأقسمَ أن حبكِ صارَ إعصاراً

وجرّ الماءَ نحوَ التربةِ الصماءَ

حتى أصبحتْ روحي وطيني

ولأقسمَ أن حبكِ

كلّ أوراقي التي جمَعَتْ دواويني!••

عمري••

أحبيني؛ وذوبي في حنيني

ومُرّي بأصبعكِ الشهيّ على جبيني

وبخانةِ التاريخ عندكِ أكتبيني

وارسميني؛ خطةً في عقلكِ الزاهي ارسميني

حدّدِي الوقتَ الذي يحلو لكِ

وبلا شعورٍ نفذيني

سافري أو سافريني!..

واحمليني مثلَ أطفالٍ يتامى

لا.. لا تحمليني مثلَ أطفالٍ يتامى

بل اجعلي الأطفال فيني

وابذريني

وازرعيني

وبرمشِ عينكِ

كيفما شئتِ احصديني!..

عشقُ وصفكِ صومعة

يا خمسةً بعدَ الجهاتِ

فكيفَ قالوا أربعة..؟

قد كنتُ إعصاراً يُدمّرُ كوكباً

وبحبكِ المجنونُ لا أقوى على شيءٍ

ككوبِ شايٍ صرتُ فيهِ الزوبعة

أنتِ الجمالُ ومن معه!..

كوني فضاءً للفضاءْ

فأنتِ أنتِ كما تكوني

وأنا صريعُ الحبّ فيكِ فأنقذيني

أو اقتليني؛ واقتليني

ثمّ أحييني

فإذا أفقتُ

فبحبكِ الحلو اقتليني!..

عمري..

أحبيني؛ وذوبي في حنيني

وطني عيونكِ فاسمعيني

غيّري تشكيل عيني

واجعليني خادمَ الحبّ؛ اجعليني

وقتما شاءتْ عيونكِ أحضريني

وبشعركِ الغجريّ حينَ أحضرُ طوّقيني

فأنا كطفلٍ لا يَرَى أمّاً لهُ

فكوني أنتِ أمي واحضنيني!..

facebook.com/the.Boooks

قبّليني

وبحضنكِ المجنونِ يا عمري دعيني!••

عمري••

أحبيني؛ وذوبي في حنيني

واقتنيني مزهريّة

يا زهوراً ليلكيّة

فأنا بدونكِ مثلُ طفلٍ تائهٍ بينَ الزوايا

بلْ مثلُ طفلٍ حائرٍ بينَ آلافِ الهدايا

وأنا بقربكِ مثلُ قيسٍ قُربَ ليلى العامريّة

فإذا أتيتِ: ترقصُ الدنيا بعيني

وإن رحلتِ:

صرتُ مهموماً كئيباً

وأدُسّ – في كفي – جبيني!..

عمري..

أحبيني؛ وذوبي في حنيني

وإلى جنونكِ أرشديني

وافصلي بهواكِ أيضاً

بينَ ما بيني وبيني

بالمحبّةِ طهريني

في زوايا الأرضِ يا عمري انثريني

واجمعيني كي تريني

ثمّ عودي فيكِ يا روحي انثريني!..

كي أنادي:

عمري..

أحبيني؛ وذوبي في حنيني

لتزولَ أوهامُ الحزينِ!٠٠

جيشُ الأنوثة

حباً لقلبكِ؛ ما تريدي فافعلي يكفيكِ من

هَول اشتياقي مقتلي

قلبٌ أحبّ وما أفادَ جنونهُ هذا وجثماني

أمامكِ؛ فاسألي!..

غنيتُ من فرطِ المدامعِ حرقةً يا أيها الليلُ

الطويلُ ألا انجلي

هذي وصيةُ عاشقٍ في ليلةٍ يلقى بها ألماً يكونُ

كما يلي

ظمأٌ سواكِ فما هَنِئْتُ بمَشربٍ حتى زلالُ الماءِ

باتَ كحنظلِ

حتى الهواءُ إذا أردتُ تنفّساً أمضى إلى جوفي

كسهمٍ مُرسَلِ!..

العقلُ يَهوي كلَّ ما ذُكِرَ الهوى قد حطّهُ سيلُ

المحبةِ من عَلِ!..

لكِ في الليالي تاجُ أفراحٍ؛ فما دونَ السعادةِ

والجراحِ فذانِ لي

وبحثتُ عن عذر الجفاءِ تَعَلُّلاً هذا وما نَفَعَ

الفؤادَ تَعَلُّلِي

يا صبرَ أيوبٍ أريدُ زيارةً يا رحمةَ الجبارِ

فلْتَتَنَزّلي

هوَ ما أقولُ؛ وكلُّ شيءٍ مُثبَتٌ لا تلْحَني بالله

– ظلماً – واعدلي

لا تشطبي تاريخَ حبٍ كاملٍ دربَ افترائكِ –

في الهوى– لا تُكملي

والحقُّ حَصْحَصَ بعدَ أعوامٍ؛ فهل قد قالَ

يُوسُفُ للعزيزةِ هَيْتَ لي؟

وأنا الذي أنشدْتُ حينَ سألْتِني أرني إذاً –

حباً بربكَ – منزلي

نقّلْ فؤادكَ حَيثُ شِئتَ من الهوى ما الحبُّ

إلا للحَبيبِ الأولِ

أينَ المفرُّ أمامَ جيشِ أنوثةٍ لَحقتْ ركائِبُهُ

بصَبٍّ أعزلِ٠٠؟

فإذا لقاهُ فلا يُعَدُّ كفارسٍ وإذا اتقاهُ فليسَ

عَنهُ بمَعْزلِ!٠٠

من هَولِ مَشهَدِهِ تسَمّرَ واقفاً وَرَمَتْهُ أقواسُ

الذهولِ بمقتلِ

فتَراهُ مُكْتملَ الشحوبِ كأنهُ ذو جِنّةٍ يَرقيهِ –

في غضَبٍ – وَلي!٠٠

لستُ المعرّي في رسالتهِ التي جَعلَتْ جريراً

صاحباً للأخطلِ

لكنّ شِعري لا أريدُ بوصفهِ فخراً؛ ولا طرباً

لكي تتمايلي

دَوّنتُ ما دَوّنتُ كي يبقى غداً نصْلاً على

قوسِ الجوابِ إذا تُلِي!..

إني أحبكِ والهوى مُتمَكّنٌ إنْ شِئتِ بُعداً؛ أو

لقاءً فاوصِلِي

facebook.com/the.Boooks

وأنا الغريقُ؛ فهل تُراكِ حبيبتي في الحبّ قد

تخشينَ أن تتبللي٠٠؟

بعضي يريدكِ؛ لا أبالغُ عندما من بَعْدِ بعضي

قد تهافتَ مُجْمَلي

البدرُ وجهكِ؛ والجدائلُ كلما أسدلتِها:

صارتْ كليلٍ ألْيَلِ!٠٠

والثغرُ منحوتٌ بقدرةِ خالقٍ تفاحةُ الإغواءِ

أنتِ؛ فزلزلي

والخصرُ كُمّثرى برَدْفٍ مُثقَلٍ تمشينَ من ثُقلٍ

كأنْ تتحاملي!••

أما وعاجُ الجيدِ فيهِ تموّجَتْ أجاصتانِ: كما

الحريرِ المهملِ

هذا وملمسُ وجنتيكِ كأنهُ طفلٌ أداعبُ

وجنتيهِ بمُخملِ

واللهِ لو لا أنْ عرفتكِ كنتُ قد أقسمتُ: أنكِ

بالدُجى تتجملي

وأخذتِ من هاروتَ بابلَ كلها وَوَرثْتِ من

نسل الفراعنةِ الحُلِي

وملكْتِ إكسيرَ الجمالِ بغمزةٍ حتى بنفسكِ

كِدْتِ أن تتغزلي!..

وَضَحِكْتِ من ليلى: يُقبّلُ قيسُها حيطانَ دارٍ

دارسٍ هَرمٍ بَلي

حتى بعبلةَ تَهْزَئِينَ غرامها بأبي الفوارسَ فوقَ

أبْجُرَ يَعتلي

وَوَدِدْتِ بامرئِ قيسِنا أنْ تعبثي فصَرَعْتِهِ بينَ

الدَّخُولِ فحَوْمَلِ!••

هذا وحُورُ العينِ منكِ تعَجّبَتْ عيناكِ ذاعَتْ

في السماءِ؛ تمهّلي

آثارُ خَطْوُكِ باقياتٌ في الدُنا في مصرَ آثارٌ كما

في الموصلِ

أخشى عليكِ من الندامةِ كلما حُبي ذَكَرْتِ؛

وسوفَ يوماً تَذْبُلي

شهِدَ الفؤادُ بأنّ حُبكِ قاتلي ونطقتُ هذا:

رافعاً لكِ أنملي!••

facebook.com/the.Boooks

عرشٌ عظيمٌ من هباء

الأرضُ تبحَثُ عَنْ بِدَايَتها لتتسِعَ السّمَاءْ

!٠٠وَالليلُ منفردٌ بهَذا الكَونِ يَفعَلُ مَا يَشاءْ

وَأنا وَحِيدْ

أنظرُ في نوافذِ خاطِري بَعضَ الهُرَاءْ

وَعَليّ أن أرِثَ المكانَ مِنَ الزمَانْ

وَأنسجُ مِنْ ظلامِ قِيامَتي

facebook.com/the.Boooks

!٠٠خيْطَ الضيَاءْ

وَأنا حَزينْ

أسْمعُ الصّمتَ المعلقَ بَينَ أوْردَةِ الصّدَى

وَأجُسُّ نبْضَ الدّمعِ:

هلْ نطَقَتْ دُمُوعُ الكبرياءْ٠٠؟

!٠٠أوّاهُ؛ هلْ أرثي الرّثَاءْ

إنني أتلو وصيةَ عَنترة:

عِمِي مَسَاءً دَارَ عَبْلَةْ

وَتكلمي يَا دَارَ عَبْلَةَ بالجوَاءْ

– وَوَدِدْتُ أنّ الشعرَ يُصبحُ لي ردَاءْ –

لأرتجِلَ ارتجَالي

!••حينَ يَرتجِلُ المسَاءُ مِنَ المسَاءْ

وَعَليّ أن ألِجَ انهِزامِي

وَأخرُجُ رَافِعاً كفّي

أحيِّي جَمْعَ جُمهُورٍ يُصَفقُ باسْتِياءْ

ثمّ أكْتبُ للفرَزدَقِ بَيْتَ شِعرٍ

- وَأبعَثُ لابْنَ خلدُونَ احتِرَامِي -

وَأنظرُ مِنْ خِلالِ رسَالتي:

رَجُلانِ يَنتحِرانِ

وَلا أعِيرُهُمَا اهتِمَامِي

وَكأنني قلمٌ تبَاعَدَ عَنْ مَسَارِ سُطورهِ

وَنسَى بأنّ الوَزنَ مَطلوبٌ

بلفظٍ كـ الهَوَاءْ!

الحرْفُ مملَكتِي

وَتختِي في ثقوبِ الأرضِ عَرْشٌ مِنْ هَبَاءْ..!

والرّوحُ تمثالٌ بنقْشِ فُسيْفُساءْ

وَعَليهِ تاجٌ مِنْ دَمٍ

أوْ مِنْ بكَاءِ الأشقيَاءْ

القلبُ يَعلمُ أننِي نِصفُ الطريقِ إلى الخفاءْ

وَالنصفُ يُوقنُ أننِي حُزنٌ ويُكمِلهُ الشقاءْ

لا بُدّ مِنْ نثرٍ إذاً

لا بُدّ مِنْ نثرٍ إلهيٍّ ليَنتصِرَ البَهَاءْ..!

facebook.com/the.Boooks

الحلم

هي نقطةٌ بالنفسِ خاويةٌ وماضيةٌ كيومِ

الأمسِ

قابعةٌ على حدّ التذكرِ

كلما جاءتْ ذهبْتُ

وكلما ذهبَتْ وجدتُ النفسَ عائدةً

••وعُدْتُ!

في اندماجِ الوعي باللاوعيِ أصرخُ:

نقطةٌ بالنفسِ حائرةٌ بفعلِ الهمسِ

تخرجُ من شتاتي

تبعثُ في الرّؤى نمطاً فضولياً؛ وتعبثُ

بالسطور:

لعلّ شيئاً ما يُدوّنُ بالرموز؛

ولعلّ روح الرمزِ مرّتْ من هنا

ولعلّ هلْ صنعتْ فضاءً ثمّ طارتْ

واستباحتْ حُرمةَ التكوينِ واندلعتْ

!••بذاتي

ربّما نفسي على نفسي سقَطْتُ

وربّما عَثَرَتْ بيَ النفسُ التي أوحَتْ مماتي••؟

ربّما خضعَتْ لدرسٍ في التجلّي

!••كي تمارسَ لعبةَ الأرواحِ فانبثقتْ حياتي

هيَ نقطةٌ بالنفسِ أتبَعُهَا وتَتْبَعُني اتباع

الحدسِ

تجهرُ بالثنائيّاتِ؛ أوّلها كآخِرِها

هي نقطةٌ كالليلِ تبدأ من نهايةِ ما انتهى قبْلاً

- وتجعلُ ما يُرى وهْماً -

كأنّ الليلَ لعنةُ كافرٍ حلّتْ عليه

وكأنّ النفسَ تخرجُ نقمةً من نعمةٍ

إمّا وجدتُ الفرقَ بينهما

وإمّا ضعتُ في فرطِ التشابه

نقطةٌ بالنفسِ عاليةٌ وهادئةٌ

كتيّارٍ على نهرِ التأمّلِ

شكلها اللا شكلُ؛ صورتها كصوتٍ:

مثلُ وادٍ غير ذي زرعٍ

ترفرفُ قُربَ هاويةٍ على سفحٍ

تخرّ إلى العلوِّ وتنثني فيهِ انتصاباً!

نقطةٌ بالنفسِ محورها الترددُ والتوجسْ:

خذني إلى ما ليسَ يُدركُ

- خاطبتني -

قلتُ في نفسي سآخذها إلى برّ الحقيقةِ

فانتشى بي حاضرٌ ما كانَ يُعرفُ

وانجلى – غضباً – سحيقُ الوقتِ:

ما هذا التخوّفُ..؟

قلتُ لم أجمعْ من الكلماتِ ما يكفي لتكوينِ

المدائحِ

فانطوى قُربي وأدركَ أنها:

..نقطةٌ بالنفسِ.. أو تبدو كذلكْ!

جئتُ قبلكِ، جئتُ قبلي!..

أصنعُ الأرضَ وحيداً، أجمعُ الرملَ شريداً

وأغني للمسافاتِ الطوالْ

من يغني يا مسافةْ..؟

كيفَ أبدو لو جعلتكِ مثلَ أنثى في

الصحاري

ووضعتُ نفسي في الثلوج

أشعلتُ عمري فيكِ بحثاً

أنتِ سرّي·· أنتِ ما أنوي اكتشافه!··

أرسمُ الغيمَ بعيداً

وأدندنُ شبهَ لحنٍ كان يُعزفُ للمساء

أحبطُ الرغبةَ فيني أن أطيرَ مع الهواء!

كنتُ عندكِ كلّ يومٍ أحتفلْ

واحتفالي فيكِ يا أوجَ احتفالي

كنتُ ألمسُ فيكِ قلباً

كنتُ أعشقُ فيكِ عطراً

صرتُ نثراً ثمّ شِعراً ثمّ قافيةً وبحراً!..

جئتُ أرهنُ في شفاهكِ كلّ عمري

جئتُ من بلدٍ كئيبٍ

جئتُ قبلكِ

لا؛ جئتُ قبلي!..

جئتُ ظلاً؛ ثمّ عضواً تلوَ عضوٍ تلوَ عضوٍ

واكتملتُ أنا بقربك!..

في المساء؛ كنتُ ألحظُ فيكِ شيئاً:

facebook.com/the.Boooks

مقلتاكِ هما الحضارة؛

وابتسامةُ جنةِ الرحمنِ أنتِ

كنتُ أشعرُ بالإثارة

إن لمستُ أناملكْ

وأشعرُ بالخسارة:

لو يكونُ الضوءُ غيركِ في سريري؛

آآه٠٠ وأشعرُ بالمرارة

لو فقدتكِ؛ والمسافة لا تُرى بيني وبينكِ!٠٠

أنتِ ترياقُ الخلود؛ أنتِ تحتلينَ أحداقي

باختصارٍ أنتِ يا روحي ارتواءْ

وأنا الغريبُ القادمُ الولهانُ أسقطُ عندَ بابكْ

فاسقِني حضناً يُعيدُ ليَ الحياة

كوني زيارة

فأنا المريضُ؛ أنا المريضُ

الـْ كانَ يائسْ

وأنتِ يا روحي البشارة!..

درسٌ في الأبجدية

خذ بعضاً من الكلمات

رتبها لتُصبحَ جملةً

وَضِفْ عليها طابعَ التحريرِ من لغةِ الفصاحة

ولتلعبَ الكلماتُ لُعبتها:

لا بُدّ من سرٍ يُؤرّقُ قارئكْ!..

ضعْ بعضَ الغرابةِ في جوارك

-كي يكون لكَ الغموضُ مُفكراً-

وارفعْ حروفكَ عالياً

أعلى من التكوينِ

أو سِفرِ الرذيلةِ

واستمعْ لبكاءِ قلبكَ – هكذا–

وَهكذا:

حملتْ من المعنى الكثيرِ

وَ ربّما:

صارتْ أكيدَ الشيءِ حولَ صفاتهِ!••

وامزجْ بقولكَ حكمةً

أو عائقاً نحوَ الوضوحِ

ولا تَعُدْ نحوَ الوراءِ تراجعاً عمّا كتبتَ

فكلّ شيءٍ زائلٌ

أو باطلٌ

أو سالكٌ دربَ النهايةِ

عِشْ لنفسكَ في الكتابة

خذ جملةً إسميّةً لا فعلَ فيها:

للحبِّ شكلٌ آخَرٌ

حَوّر الكلماتِ

رتبها بوضعٍ حائرٍ:

إن للحبِّ احتقاناً في دواخلنا

خذ رأيَ نفسكَ

لا تخفْ من قولِ غيرك

فالحروفُ كما البشرْ

-فيها من النقصانِ شيءٌ قد يُمَيّزها-

واقفز إلى ما ليسَ يُدركُ؛ كالطبيعةِ:

لا نرى فيها فراغاً واحداً

فاصنعْ فراغكَ ملءَ فكركْ:

نهرٌ بلا ماءٍ؛ وتنينٌ يُصاحبُ امرأة

وشمٌ على وجهِ الرياحْ

قومٌ بألوانِ الهواءِ وجوههم

نارٌ تُراقصُ غيمةً

شيءٌ من التضديدِ يجعلها:

هباءً كاملاً!..

وإذا رغبتَ بأن تقولَ حبيبتي

فانطقْ بشيءٍ لا تريدهْ

فما تريدُ هوَ:

ما لا تريدُ مخبأً خلفَ التسرّعِ

حُكّ حبركَ بالتجلّي

فالضمائرُ لعبةٌ كونيّةٌ:

أأنا أنا؟

الموتُ مثلك!..

إلى محمود درويش

اليومَ

كلّ مَن في الأرضِ ماتْ

والشعرُ يدخلُ في سُباتٍ

في سُباتٍ

في سُباتْ!..

اليوم – يومكَ – في حِدادْ

سليمانُ ماتْ

وماتت العنقاءُ

وانصرفَ الصحابةْ

والآنَ مَن في الكونِ يمتهنُ الكآبةْ!٠٠

من فينا بهذا الآن حيّ٠٠؟

يا درويشُ

facebook.com/the.Boooks

أرثيكَ / أرثي الشعرَ / أرثي الروحَ / أرثي

القلبَ / أرثي الأرضَ(1)

أرثي الوزنَ / أرثي غزةَ النجلاءَ / أرثي

أرضَ بيروتَ

الملائكةِ / القارئينَ / النائمينَ / الواقفينَ

على مراسيم الحدادْ

أرثيكَ / أرثيهمْ؛ وأفتحُ باسمكَ المحمودِ في

حزني بلادْ!..

لكَ حكمةُ الأجدادْ

facebook.com/the.Boooks

بي لسعةُ الجلادْ

بي سبعٌ عجافٌ خَلْفَهُنّ الغيمُ هَمّالاً

لأُورِقَ ثمّ يقضمُني الجرادْ!..

ترثيكَ أميالُ البلاغةِ في جزيرتنا

أرثيكَ بلْ أهديكَ أوسمةَ الصفاتْ

فالكلّ ماتْ

والكلّ مبنيٌّ على الفعلِ المضارعِ

ثمّ فاتْ

facebook.com/the.Boooks

وأنا وحيدٌ في خِضمّ كآبتي

أعطيكَ أسئلةً

بل.. سؤالاً واحداً

-لو كنتَ حياً لا تُجبْ-

أو كنتَ مَيْتاً:

هاتِ ما في الغيبِ هاتْ!..

تبكيكَ يا جدي عصافيرُ الجليلْ

تبكيكَ باريسُ القديمةْ

هلْ سَتَذْكُر:

مُستسْلماً لخُطى أبيكَ ذهبْتَ يا أبتي هناكْ؛

حينما كانَ الغروبُ يُذيبُ ذراتِ الغروبْ؛

حينما كنا أنا وأبوكَ خلفكَ والِدَيْكْ

والآن قبركَ في اتساعْ

ستأخذني لتسليةٍ معَ اللاوَقتْ

لا تحتاجُ مكتبةً ولا لغةً

فالقبرُ ينطقُ بالتدرجِ:

لهجةً عربيةً فصحى

وينكشفُ القناعْ

والموتُ مثلكَ لا يطيقُ الانتظارْ

سأبكي دمعةً أخرى على قبركْ

ليَشربني الترابْ

فاخْرُجْ

-من دموعي يا عظيمَ الحرفِ-

فوقَ الأرضِ

فاخْرُجْ مرةً أخرى إلينا كالنباتْ!..

اليومَ

كلّ مَن في الأرضِ ماتْ

والشعرُ يدخلُ يا صديقي

يا أبي؛ يا صاحبي

الشعرُ يدخلُ:

في سُباتٍ

في سُباتٍ

facebook.com/the.Boooks

في سُباتْ!••

ذكرى تُباع

ذكرى تُباع وما منْ مُشترٍ وَجَدَتْ وتضيعُ

أخرى وعنها يَسألُ الشاري!••

جرحٌ أتاني وإني ما شعرتُ بهِ ماذا يضيرُ

الجرحَ إنْ ما وَدّ إخباري••؟

وحدي وُجِدْتُ ووحدي صرتُ موجوداً

أيضاً وَوحدي نوى هجري وإنكاري!٠٠

مَنْ كُنتُ ؟ مَنْ أصبحتُ ؟ مِنْ مَنْ يشتكي

قلبي؟ هَلْ كُنتُ ؟ هَلْ ما زلتُ ؟ بل تباً

لإصراري

ما حيلتي والبردُ قد أهوَتْ معاولهُ هَلْ

بالضلوعِ كما بالصخرِ من نارِ٠٠؟

لستُ الفقيرَ وإن ما كنتُ ممتلكاً :إلا العراءَ؛

فكلّ الأرضِ ذي داري

facebook.com/the.Boooks

لا يملكُ العصفورُ عُشّتهُ إذا انهدَمَت ويملكُ

السّحْبَ؛ ما أبهاهُ من دارِ

والحرفُ يَعجزُ أنْ يغتالني أبداً ما يفعلُ

الحرفُ معْ جبروتِ إبحاري··؟

للهِ شكري وسجداتي أكررها أني ليَ الحرفُ

نهراً دائماً جاري!··

ممتلئٌ بأشياء لا أعرفها

إنني ممتلئٌ بأشياءَ لا أعرفها؛

أحياناً أمدُّ ذراعيّ وأصرخُ وأصرخُ وأصرخُ

ويحلّ ظلامٌ وتخرجُ مني وطاويطُ كثيرة

وأمتلئُ بالدم وأصرخُ كثيراً

حتى أظنّ أنها لن تفرغَ مني إلا بعدَ ألف

عام!..

وأحياناً أكتبُ

facebook.com/the.Boooks

لأجدَ أنّ أصابعي باتت أقصرَ من المعتاد؛

فهيَ تجفّ أحياناً

كلّ نقرةِ حرفٍ على لوحة المفاتيح

تعني استهلاكاً أكثر لصلاحيتها

ولا زلتُ أكتب؛

والغريبُ أنني وصلتُ لكتابةِ نهايةِ هذهِ

الجملةِ بفكي!..

القمرُ المتمددُ بشكلٍ دائريٍ خلفَ نافذتي

facebook.com/the.Boooks

يشكلُ عائقاً للرؤية

-الأشياءُ لا تكبرُ حينما نصلُ إليها وحسب

-

الطرقاتُ تضيقُ في نهايتها قبلَ أن نعبرها؛

والقمرُ ممددٌ بشكلٍ عشوائيٍ الآن:

من لمسَ صفحةَ الماءِ بأصبعه..؟

facebook.com/the.Boooks

زمنٌ يجتاز جثة

نعَم؛ أنتَ مُتهمٌ بالشعُور

ومُتهمٌ بإحساسِكَ الخاطئ تِجاهَ الآخرين

مُتهمٌ بالشفقة

ومُتهمٌ باتهامٍ مُبهَم

غير واضحِ الملامح

إذ دُعِيتَ إلى احتفالٍ وفرحت

وإلى عَزاءٍ فحَزنت

بالرغمِ منْ أنّ عليكَ البقاءَ مُتبلداً

أبلهَ المشاعِر

وبالرغمِ من كَوْنكَ إنساناً

إلا أنّ عليكَ المكوثَ في كهفِ انعزالكَ

ثلاثينَ سنةً أخرى

تكتبُ مُذكراتكَ على حائطِ حُجْرَتك

وتُوقعَ باسمٍ مُستعار

وتقرأُ ما كَتبتَ

وتتعجّب:

مَن كانَ هُنا في غيابي··؟

أنتَ مُتهمٌ بالنسيان

وباختلالِ الذاكرة

تسأَلُ نفسَك

هلْ يتذكرُ الموتى انعدامَ الوزنِ حينَ نقولْ:

قلبي مُثقلٌ بالحُزن··؟

وتسأَلُ شخصاً تراهُ في المرآةِ الجانبيةِ:

ماذا تُريدُ مني٠٠؟

أنتَ مُتهمٌ بتصريحك

في مؤتمرِ وجعٍ على هامشِ الدموعْ: أكرهُ قلبي!٠٠

كيفَ تكره٠٠؟

وكيفَ لكَ الإدلاءُ بدَلوكْ٠٠؟

في حين أنكَ بئرٌ خاويةٌ

إلا من صَوتِ الهواءِ الذي يُقهقهُ

-خوفاً منكَ أوْ عليكْ-

ويُقهقهُ اسْتهزاءً بكَ أيضاً!..

وأنتَ منبوذٌ من كُتلةِ طينٍ تَعلو كَتفيكْ

ومن جنينٍ لا يُولد

منبوذٌ لأنكَ تقسُو على ذاتِك

كُلما فتحْتَ نافذتكَ

واستقبلتَ الضوءَ بامتعاضِ اليائِسْ

وكُلما تنفّسْتَ بصوتٍ يَتدَحْرَجُ في رِئتيكَ

facebook.com/the.Boooks

عَبْرَ فُوّهَةٍ في مُنتصَفِ رأسكَ الحجَريّ

وكُلما خطوْتَ إلى الأمامِ؛ تَرجعْ

أو إلى الوَراءِ تَخطو فتتقدّمْ

هذا لأنكَ تُجرّبُ طريقةً ما اعتدْتَ عليها

للبقاءِ حياً!..

ومُتهمٌ ببرُودةِ الأعصابْ

واقتباساتٍ تجيبُ بها على ما يَدُورُ حولكْ

منْ صَمتٍ يُطبقُ شفتيهِ جَيّداً على كَلماتِكَ

فيخنقها

ومنْ صَخبٍ يَغتالُ قيلولةَ ما بَعدَ الظهر

فترْكضُ في طريقٍ نصف عارٍ منَ الأسْفلتْ

نمط الطمأنينة

ما الذي يجعلكَ مطمئناً إلى هذا الحدّ..؟

أنتَ لا تعرفُ سببَ هطول المطر

ولا كيفيةَ هطوله

أنتَ تنظرُ إلى السماءِ بدهشةٍ:

ربما لأنّ ثوبكَ الأبيضَ قد أصبحَ لؤلؤياً

أو ربما لأنّ ثوبكَ الأبيض ازدادَ بياضاً

وربما لأنكَ لا تعرفُ سببَ هطولِ المطر

ولا كيفيةَ هطوله!··

أنتَ لا تبدو مطمئناً لسببٍ واضح

كلُّ ما في الأمرِ

أنكَ مطمئنٌ لأنكَ تريدُ أن تشعرَ بذلك

ولأنكَ مطمئنٌ لأنّ الطمأنينةَ

كلمةٌ طويلةٌ هكذا!··

ولأنكَ طينيٌ لدرجةٍ غريبة

فقد أصبحتَ تأمنُ الطينَ

لأنهُ مشتقٌ مما تشعرُ به

ولأنّ نمطَ التأيّن في نواياك

يدعوكَ إلى هذا!..

وأيضاً بسبب انشغالكَ في جملةٍ

تشبهُ كثيراً استغرابَ أحدهم منك

وتشبهُ كثيراً انزعاجَ أحدهم المهذب:

أنتَ نمطيٌ جداً!..

تتكررُ كحادثينِ غريبينِ في يومٍ واحد

إلا أنّ مَنْ رآهما لم تَصْدُر عنهُ ابتسامةٌ واحدة

ولم يضعْ يديهِ على رأسِهِ قلقاً:

من حدوثِ الثالثِ على مسافةٍ تكفي

لقتله!..

أنتَ مطمئنٌ لأسبابٍ

تجعلُ منكَ شحاذاً يثقُ بالمارّة

سيُلْقُون لهُ ما يكفي

لشراءِ سعادةٍ مؤقتة

وأنتَ لديكَ ما يكفي من المارّةِ

كي تعرضَ عليهمْ سعادتكَ وتبيعها!..

ومطمئنٌ لأنكَ تشعرُ بثقلِ أوردتك

-وأنكَ لن تموتُ هنا والآن-

بل تعرفُ مقدارَ ما تبقى من الحياةِ

بثقلِ ما يسري فيها

وتشعرُ بـ أنينِ الطمي حينَ يطردهُ قلبك

فيزحفُ ببطءِ سلحفاةٍ عبر شرايينك

ولا يعكّر مزاجك

إلا أنكَ ترغبُ في النوم

والحقيقةُ هيَ أنهُ لا يُراودكَ نعاسٌ ما

بل هذا ما يفعلهُ الإنسانُ حينَ يشعرُ

بالطمأنينة!..

عليكَ أن تكتبَ حياتكَ في ورقةٍ واحدة

وأن تُلقي بها في البحر

عليكَ أنْ ترتبَ

سريرَ نومكَ

كوبَ قهوتكَ

علبةَ السجائرِ

الكرسيّ

المصباحَ الكهربائيّ

والنوافذَ جميعها

وتُلقيها في البحر

ثمّ تُلقيهم في حقيبةِ يدكَ وتمضي!..

وعليكَ – لا على الذينَ من قبلكَ – أنْ:

تعرفَ الفرقَ بينَ جريدةِ الأمس التي لم تظهر

بها

وجريدةِ الغدِ التي سيتجاهلونكَ خلالَ

نشرها

ومجلةً احتفظَ بها أبوكَ في خزانته

وحينَ رحلَ عنكَ

أخذتَ تقلّبُ احتمالاتك في أهميتها

لكنكَ تتفاجأُ بتلاشي قدرتكَ

عن حلّ أتفهِ الألغازِ تعقيداً

لماذا احتفظَ أبي بمجلة؟

وحينَ تدركَ مَن أنت

ولماذا عادَ إحساسكَ بالأشياء

فإنكَ حالاً تبكي؛

وتعرفُ تماماً سببَ هطول المطر

وكيفيةَ هطوله!..

إنكَ مطمئنٌ لأمرٍ واحدٍ

يجعلُ الأمرَ مقبولاً لجميع الأطراف

ولجميع الاحتمالاتِ أن تمرّ من خلالك

وأن تعْبُرَكَ كضوءٍ نافذٍ للجمادات

كصوتِ نداءٍ خافتٍ عبرَ حائط

كتيارٍ دافئٍ بينَ جسدينِ لم يتلامسا

إنكَ مطمئنٌ لأنّ الطمأنينةَ شيءٌ لا يقتلُ

أو يُسبّبُ جرحاً إذا ذكّرْتها

كـسَكِينة!

منتصباً كـ لا النهي!٠٠

أنت تبكي كثيراً

والأرضُ كذلكَ تبكي

لكنّ صعودَ مائها

وهبوطَ دمعك

قد يسببُ إرباكاً للحزن!٠٠

ولأنكَ الوحيدُ الذي يأذنُ للدموع

والوحيدُ الذي لا يبكي:

بعدَ أن يسمحَ لهُ أحدٌ بذلك

فأنتَ ستبكي دونَ توقف

فأمرُ التوقفِ منوطٌ بأمر ابتداء!..

ولأنكَ ستظلّ هكذا

مقيداً ببدايةٍ لم تبدأ

وبنهايةٍ لا تنتهي

فأنتَ تفكرُ على مهل

-بما أنكَ لن تموت-

إلا بعدَ أن يحدثَ خطأٌ

في حزنكَ

أو جرحكَ

أو دمعكَ

أو صحوكَ

أو سهرك

ولأنكَ لن تموت

إلا بعدَ أن تدفعَ ثمنَ استئذانكَ لنفسك

دونَ أن تعلمَ أنكَ لن تستطيع

ودونَ أحقية التراجع عن طلبك

فتظلّ هكذا تعتذرُ لنفسك في المرآة:

لا تؤاخذني بما نسيت

ولا ترهقني من أمري عسراً!

أنتَ تبكي كثيراً

هذا يعني أنّ الأرض:

ستتنازلُ يوماً ما عما تفعله بك

-دونَ أن تتنازلَ عن صعود مائها-

وتبقى أنتَ مكانك مندهشاً

مما خلّفتهُ دموعكَ من فجوةٍ أسفلَ قدميك

لكنكَ لم تسقط

ولم تتعثر حينما فكرتَ في التحركِ إلى الأمام

أو إلى الوراء لتلحقَ بماضيك

لكنكَ كذراع الحاضر الذي يبطش

بقيتَ ثابتاً

منتصباً كـلا النهي

في صوتِ أبٍ يتهدج

ومترقباً كإدراكِ الغافل

حينَ يحملُ بيديهِ ما يفوقُ وزنه

وتبقى هكذا؛ كمغفلٍ أيضاً:

يبكي كثيراً؛ ولماذا..؟

فقط لأنهُ الوحيدُ الذي يأذنُ للدموع

ولأنهُ الوحيدُ الذي:

لا يأذنُ لنفسهِ بالتوقف عنها!••

[.]وَ!••[......]

من السهل جداً عليكَ أن تُخفي(٠)

وأنّ هذهِ الـ (٠) صغيرةٌ لدرجةِ أنهُ:

يَصعبُ عليكَ إيجادها بعدَ إخفائها!••

وعليكَ أن تتأكدَ منَ الفرق بينَ:

إخفاءِ (٠) واحدةٍ وبينَ إخفاءِ كثيرة!••

الأمرُ الذي يجعلكَ تأخذُ في اعتباركَ أحد

أمرين:

الأولُ أنْ تركّزَ على نقطةٍ واحدةٍ فقط

ومن ثمّ تجدُ الطريقةَ الأمثلَ للتعاملِ معها

والآخرُ هوَ أن تتشعّبَ كشجرةٍ جافةٍ وقديمة

وتُمسك بالـ (٠٠٠٠) كلها دفعةً واحدةً

وتتدلى منكَ كأحذية يتمنى أصحابها:

أمانٍ كثيرةً بعدَ أنْ رجموكَ بها!٠٠

الـ (٠) لا تتكاثرُ لتُصبحَ (٠٠٠٠) أبداً

لكنها تتقلصُ من(.٠٠٠)

facebook.com/the.Boooks

وتُصبحُ (٠) واحدةً فقط!٠٠

أيها الأحمقُ؛ اسمعني

أنتَ تُفكّرُ في مجازها أو عن دلالتها

وماذا تعني هذهِ النقطةُ أو النقاط؛

الكمّ الهائلُ من الفلسفةِ هنا

لا يعني شيئاً بعينهِ دونَ غيره

بل يعني أنكَ لا زلتَ تنظرُ للأمورِ:

بنظرةٍ غيرِ التي تبدو عليها!٠٠

facebook.com/the.Boooks

ما أجملكْ!..

الضوءُ أقوى من مجاز عبارتي

الضوءُ يرقصُ في القصيدةْ

والضوءُ أنتِ

فكم من غيمةٍ:

هبّتْ تُقبّلُ مبسمكْ

كم من سماءٍ ظللتكِ

والآنَ منكِ هيَ الظليلة

كم من نجمةٍ بعثَ المساءُ

لكيْ يُرصّعَ أنملكْ!..

والأرضُ

ما اسمُ الأرضِ..؟

تلكَ القطعةُ التي حملتْ ثراكِ

ما اسمُ الأرضِ..؟

ما دلّتْ على شيءٍ سواكِ

والأرضُ:

جملةٌ تائهٍ قد ضلّ عنكِ!..

فالأرضُ أنتِ

والروحُ أنتِ

والليلُ أنتِ

والأزرقُ أنتِ

والدنيا

وأطوارُ الفلكْ!..

يا زهرةً قامتْ لأجلكِ دولةٌ

-جسدي-

لكِ نبضُ هذا القلبِ عاصمةٌ

والشعبُ:

أعضائي

هدوءُ تنفسي

رئتيَّ

عينٌ لا ترى إلاكِ

أوردتي جميعاً تشملكْ!..

ما أجملكْ

الليلُ أصبحَ راهباً يتأملكْ

كم من رُؤىً أَلِفَتْ حدودكْ٠٠؟

كم ربيعاً غازلكْ٠٠؟

من منطقِ التاريخِ ينبثقُ العلوّ

صارَ العلوّ مجاز وصفٍ

أسفلكْ!

والبحرُ ممتدٌ

-كأنكِ كوكبٌ-

والكونُ

كلّ الكونِ فزّ ليحملكْ!..

عيناكِ أرضٌ للدياناتِ العديدة

كم ماتت قرونٌ لا نرى آثارَها

وأنتِ باقيةُ الشموخِ

كأنّ هذا الوقتَ جاءَ ليُمْهِلكْ!..

واللهُ سخّرَ كلّ ما في الأرضِ لكْ

فانبثقَ انبهارٌ:

كلّ شيءٍ ناقصٌ

من أكْمَلكْ..؟

وأنا أحبكِ

كلّ ما جاءتْ بعقلِيَ فكرةٌ

-وعرفتُ أنكِ فكرتي-

يا فكرةً حاولتُ أكتبها

فصاحَ الحبرُ:

تكتبها٠٠؟

هيتَ لكْ

ما أجهلكْ!٠٠

تنتصرُ الطاولة!••

والكلماتُ لا تُخطئُ طريقها عندما تكونُ

بالخارج

أحياناً وأنا أتحدثُ الفصحى:

أجدُ أنّ الوقتَ يمرّ ببطء

وأنّ الكلمات تتقصّدُ عقربَ الساعةِ الأصغر

فيترنمُ بها كثيراً ويُبطئُ ثانيتين كلّ دقيقة

في حينِ أنّ اليومَ ينتهي متأخراً

وتشرقُ الشمسُ على المدينةِ كلها إلا

منزلي!٠٠

وأستمرّ في النومِ إلى أنْ يدقّ جرسُ الساعة

وأمضي إلى مكتبي هكذا:

ببيجامةٍ بيضاءَ وقبّعةٍ يتدلّى منها حبلٌ طويل

وأتثاءبُ مرتينِ قبلَ أنْ يأتي عاملُ القهوةِ

بطلبي

وأنامُ خمسَ دقائق تتأخرُ فيها الثواني ثانيتينِ

كلّ دقيقة!٠٠

facebook.com/the.Boooks

ومرةً أخرى يتأخرُ اليوم

وأظلّ شهراً كاملاً متأخراً في الراتب!

وشهراً آخرَ أعملُ فيهِ مجاناً

في حينِ أني أتكلمُ الفصحى مرةً في اليوم:

حينما أكونُ وحيداً على طاولةِ الغداء!..

وطاولةُ الغداءِ تعرفني تماماً

فإذا حانَ موعدُ غدائي أسمعُ صوتاً مزعجاً

وأكتشفُ أنّ الكرسيّ قد عادَ إلى الوراء

وأنزعجُ كثيراً لأنهُ يُجبرني على الجلوس

وأفكرُ بصوتٍ خافتٍ بيني وبينَ نفسي:

سأصومُ غداً!..

ويجيءُ غدٌ ويرجعُ الكرسيّ إلى الوراء

ويرتفعُ طبقٌ في منتصفِ الطاولةِ إلى الأعلى

وينبعثُ منهُ بخارٌ ساخن!..

وأسمعُ صوتَ ملعقةٍ تتحركُ على الطبق

وأسيرُ ببطءٍ إلى الغرفة

وأنظرُ من شقّ البابِ إليّ وأنا على الطاولة!..

وأتعجّبُ من كوني مُفطراً سراً

وأنا صائمٌ في العلن!

وأتحدثُ بالعامية

وتتقدمُ الساعةُ مائةً وعشرينَ ثانيةً إلى الأمام

ويمضي اليومُ سريعاً

وتغربُ الشمسُ قبلَ موعدها

وتنتصرُ الطاولة!..

facebook.com/the.Boooks

لو تعلمين!..

سبحانَ من أعطاكِ حُسناً فائقاً حتى يراكِ

الناسُ في الدُنيا عدَن!

أذهلتِهم؛ أبهرتِهم؛ وسحرتِهم وجعلتِهم في

سُكْرِهِمْ باقي الزمَن

حتى تغيّر للثناءِ حديثهم أسمَوْكِ مدحاً

كلهم أمّ الفتَن!

لو تعلمينَ: ملكتِ كلّ حشاشتي بيديكِ

حتى القلبُ هذا مُرتَهن

ولقد سهرتُ الليلَ فيكِ تَغَزّلاً بالشِعرِ –

أغنيةً – يُغالبها الشجَن

أنتِ الربيعُ / الغيمُ / أسرارُ الهوى أنتِ

الخريفُ وما يُرافقه فنَن

أنتِ الهواءُ إذا أرْدتُ تَنفُّساً والقوّةُ الـْ

أحتاجُها عندَ الوهَن

وأنا أحبكِ؛ والمحبةُ واجبٌ إذ كانَ حُبّ

الغيرِ من بابِ السُّنَن!٠٠

وافني في مكتبي

الآنَ موتى في الطريق

والآنَ موتى في الضمير

والفرقُ أنّ أولَ ميتٍ:

لا شيءَ حتى في المجاز!··

الموتُ لا يدري

أيقتلنا··؟

يعاقبنا··؟

يُعدّلُ سَيرنا بالأرض··؟

الموتُ يأتي هكذا

كالطيشِ لكن:

بانتظام!··

والموتُ أرحمُ من جنودِ عدوّنا

فهو الذي يَبكي

ويأخذ روحنا

لا شيءَ يطمعُ فيهِ

لا أرضٌ ولا وعدٌ لبلفورٍ

ولا حتى مهابة!..

الموتُ جنديٌ عطوفٌ هادئٌ

يختارُ سيدةً على أرضٍ محايدةٍ

فيتبعها

يُلقي لها سبباً بسيطاً

وبلا شعورٍ سوفَ تأخذ بالسبب!..

الموتُ أطيبُ من مسمى الاغتصاب

ليسَ من جيشٍ لهُ

أو فكرةً تحدوهُ أن يَعمَى

فيقتلُ

أو يُدمرُ

أو يُنفِّسُ عن غضب

وهنا المجاز يُغيظني حتى التعب!••

الآنَ موتى في الطريق

والآنَ موتى في الضمير

والفرقُ شيءٌ واحدٌ:

هوَ أننا موتى نسيرُ على الطريق

لنا هدفٌ ضروريٌ مُضاع!..

والموتُ – والتكرارُ للتأكيدِ – طيبْ

فكم رجلاً قد زارهُ هذا الغريبُ وأجّلهْ..؟

وهنا دليلٌ جيدٌ بقصيدتي

فنحن نمارسُ مثلَ هذا الموت يومياً

وننجو!..

أما الميتُ الثاني

ولم يسقط هنا عمداً ولا سهواً

ولم أُطِل سردَ الحديثِ لأهملهْ

مجردُ عابرٍ؛ من كانَ قبله:

عابرونَ وجائرون

وحائزونَ على الحصانة

بمجلس الدمّ الغبي!٠٠

كالأطفالِ هُم:

facebook.com/the.Boooks

-كلّ ما بالكون لي

-لكَ وحدك..؟

-نعم وحدي

وبمطلق الخبثِ البريء!

والموتُ مخلوقٌ وديع

-ولا مؤنثَ لاسمهِ-

فهوَ الذي يُبقيكَ حياً

وهوَ الذي يحتاجُ كي يأتيكَ أن يجدَ السبب

وهناكَ من أسبابهِ موتى

ولكن في الطريق

وما السببْ٠٠؟

لا شيء

-وأشارَ للأعلى إلى حيثُ السماء-

إنهُ يومُ القيامة

فالسماءَ غدتْ لهبْ!٠٠

والموتُ حينَ يجيءُ لا يتقمصُ الأشكال

فلا يأتيكَ – قنبلةً – ولا رداً هجومياً

ولا حتى قنافذ

فالقنافذ قد تُحيلُ صغارها أيضاً طعام!••

والخوفُ قتل

فلا تخف من لعنةٍ سقطت مع المطر اللذيذ

يأخذ شكلها شكلَ الشهاب

فربما أدلى وزيرُ الأمن تصريحاً يقول:

أنّ الذي سقطَ المساء

هوَ نيزكٌ أخاذُ

أو جرمٌ سماويٌ تنبّأَ مركزُ الأرصادِ به

-والقتلى..؟

-اختفوا؛ كانَ ارتطاماً هائلاً!..

-وهناكَ شخصٌ يبتسم-

-يا سيدي؛ لو كانَ جرماً من سماء

لما وجدنا قوةً دوليةً هرعتْ

وما صار اجتماعاً طارئاً للأمن..؟

facebook.com/the.Boooks

-أوقفوا التصوير...

ًبعدَ انعقادِ المؤتمر؛ وافِني في مكتبي

الموتُ - والتكرارُ للإحباط - طيب

ففي التشبيهِ حينَ أقولُ الموتُ أتفهُ دولةٍ

سأعيشُ حتماً لن أموت

فالانتقامُ هويةُ المرضى

والموتُ لا مرضٌ له

لا يراودهُ الصداعُ

ولا يشكو اضطرابَ الهضمِ

أو حمى تباغتهُ فينسى دورهُ في الموت!

لِمَ لا نخاف٠٠؟

وهناكَ جلادٌ يُشكلُ خطةً للموت

يُمررهُ بأرصدةِ البنوك

وفي شيءٍ يمرّ من الجماركِ لا يُحسّ

ولا يأتيكَ صوتٌ من جهازِ الكشفِ

-أو أنّ الجماركَ تقبلُ رشوةً-

فيمرّ تفتيشٌ سريعٌ:

دونَ أجهزةٍ مطورةٍ ولا حتى رسوم!··

الموتُ لم يَسْلَمْ من التبرير

فهناكَ سيدةٌ تقولُ لأختها

-هل للموت ذاكرةٌ فينسى··؟

-لا···

-كيفَ لم يأتِ··؟

-الموتُ لا ينسى؛ ولكن قد يحنّ وقد يرقّ

لحالنا

يأتي إلى بيتٍ

يُشاهدُ طفلةً حضَنَتْ هديةَ أمها

فينامُ قربَ الموقد الذهبيّ؛ يُعطي فرصةً للأمّ

كي تأتي توَدعُ زهرةً نامت

وتُفجَعُ في الصباح!··

-أما أنا؛ لا بنت لي ولا ولدٌ··؟

facebook.com/the.Boooks

-ربما أعطاكِ يا أختي دقائقَ كي تري أحفادنا

فتمدّ أنملها لتُغلقَ ضوءَ غرفتها

وتدخلُ في مجالٍ فاقَ قدرةَ عمرها وتموت!

الموتُ أطيبُ من شعوبٍ غادرة

فهناكَ بعدَ الموتِ - أي في الآخرة-

تأخذُ ما يخصكَ من ثمار الخير

تُعطي ما عليكَ من الذنوب

تتذكرُ الدنيا على مهلٍ

وتعرفُ كيفَ متّ

حينَ رماكَ مسئولٌ

أجابَ على سؤالكَ بالرصاص:

وافني في مكتبي!٠٠

م!

وتخيّلتُ أنّ اسمي م

حرفٌ واحدٌ فقط

ويتغابى الناسُ وينادونني ميم!

الأمرُ الذي يجعلني أغضبُ كثيراً

فحينما يُفكّرُ أحدهُم؛ فإنهُ يتمتمُ مممم

وهذا يجعلني ألتفتُ مراتٍ عدةً أحسبهُ

يناديني!..

أنْ يكونَ اسمكَ حرفاً واحداً فقط أمرٌ مؤرّق

وأنْ يكونَ حرفينِ فهوَ مرهقٌ جداً!..

في البدايةِ تعوّدتُ على الأمر وتعاملتُ معه

وكنتُ أصابُ برشحٍ مقصودٍ كأنْ:

آخذَ حماماً بارداً وأجلس قربَ التكييفِ

بعدها

فأصابُ بزكامٍ ورشحٍ يُغيّرُ اسمي من م إلى

ب!

وهذا ما جعلَ الأمرَ ممتعاً بالنسبةِ لي

facebook.com/the.Boooks

فمنْ كانَ يعرفني بالأمس سيضطرّ للتعرّفِ

عليّ مجدداً

لأنّ اسمي أصبحَ غيرَ ما كانَ عليه!••

ولأنّ اسمي م

فهوَ لا يقبلُ الخطأ أو الخَلْطَ:

بينهُ وبينَ حرفٍ آخر

لكنهُ يُلازمُ الكثيرِينَ دائماً

في أنّهم حينَ يُتعبون

وفي تفكيرهم العميق

وفي أجوبتهم السريعة

وفي تلذذهم بقطعةِ حلوى

وفي أولِ تحركٍ لهم أثناءَ قيامهم من النوم

وأثناءَ دندنتهم لأغنيةٍ لا يعرفونَ كلماتها

لكنهم يردّدونَ لحنها بحرفٍ يحملهُ اسمي

وأيضاً لدى أبكمٍ يتمنى التحدّثَ معَ آخر

ولدى امرأةٍ اختطفها أحدُهم وكمّمَ فمها

فهيَ تستنجدُ بي!••

كلُّ هذهِ الأشياء التي أحضرُ معها

والتي تثبتُ أهميّتي

لم تكُنْ كافيةً لأظهرَ على شاشةِ التلفاز!••

أريدُ أنْ أنام!••

وأنا متعبٌ يا أمي

مجهدٌ كثيراً من وطأةِ الأيام

وقلِقٌ مِمّا سيؤولُ إليهِ مصيري

أريدُ أن أبكي كي أتنفسَ أكثر

فالغصّةُ تملأ قلبي إلى فمهِ النازف

وحلقي جافٌ كصحراء خامدةٍ في

الداخل!••

أنا متعبٌ يا أمي؛ أنظرُ إليّ بوجهٍ لا أعرفهُ في المرآة

وأنا بخيرٍ إلا من ذاكرة!..

الأشياءُ البسيطةُ يا أمي باتت أصعب

والصعبةُ انقضى زمنها منذ أمدٍ ليسَ ببعيد!..

ولم أخبركِ يا أمي عن ألمي

وعن الليل الذي لا أنامُ بهِ دونَ أن أتذكر

قدري أن أمتلكَ ذاكرةً لا تُمحى

وقلباً يئنّ كمُقعَدٍ تماماً!··

أمي؛ يا وجهَ السماءِ في شكلها الأول

يا صوتَ المرأةِ الأولى لديّ

المرأةُ الكاملةُ التي لا تنقصُ كلّما أخذْتُ

منها

والتي لا تزيدُ كلما أثقلْتُ عليها بهمومي!··

أمي؛ من أيّ ترابٍ يأتيني الوجع··؟

أيّ طينيٍ أنا أو أيّ مائيّ··؟

facebook.com/the.Boooks

حلقي جافٌ كجرادةٍ ميتة

متحطبٌ كشجرةٍ سقطَتْ منذ ألفِ عام

أخافُ أن أشربَ ماءً فتَخْضَرّ !..

وأنا لا أشعرُ بالهدوء

ولا أشعرُ بالطمأنينة

أريدُ أن أنام ولو في ثلاجةِ موتىً باردة

أريدُ أن أغفو بلا ذاكرة

بلا وجعٍ بلا ألمٍ بلا جفاف

أريدُ أن يتبخرَ حزني من جلدي لتنخفضَ حرارتي

أن ينبضَ قلبي دونَ إحباط

رأسي ممتلئٌ بحكايا اليتامى والمشردين

بقاطعي طريقٍ مظلم

ممتلئٌ بكلّ خطأٍ تشجبهُ الإنسانية!..

أنا أتألمُ يا أمي ولا يظهرُ ذلكَ في عينَيّ

ولا أستفرغُ شيئاً منهُ على طاولةِ حديثنا

أخشى أن أضمكِ فتلمسي هذا الخوف
داخلي

أخشى أن أضمكِ فتُفجعي بمقدار التعب

أن أكونَ ثقيلاً بينَ يديكِ كصخرةِ كِلس

أنا مجهدٌ ومرهقٌ ومُنهك

وصوتكِ يتخللُ أوردتي فيمشطها من الحزن

ويستوطنُ داخلي ليلاً كاملاً كجنديٍ نبيل!٠٠

أخشى عليكِ مني

ومنكِ عليّ

أخشى على كلينا منا

آآه؛ ماذا حلّ بي ..؟

السرّ والحورية

أحدُ الأسرارِ التي أحتفظُ بها:

كتبتُهُ على ورقة

وأخفيتُ الورقةَ في البحر

وبعدَ سنتينِ عُدتُ إلى البحرِ لآخذها:

فاكتشفتُ أنهُ أخفى الورقةَ في سمكة

والسمكةُ كانت طعاماً جيداً لحبارٍ ضخم

وأنّ الحبارَ الأحمق:

قد نفثَ حبرهُ بعدَ ذلك ليصطادَ حوريّة

فأفشى حبرهُ سرّي

ووقعت الحوريةُ في الحبّ!••

أنثى !••

حباً لقلبكِ قد أصوغُ ملاحماً حتى ترينَ لَكَمْ

أنا أهواكِ

ولأكتبنّ إذا أردتِ قصيدةً وأضمّ فيها عاليَ

الأفلاكِ

حتى إذا قُرئتْ وصوفكِ مرةً ظنّ الذي سمعَ

القصيدَ يراكِ!••

سقطتْ لعينكِ دمعتان؛ سقوطها نحّى

غشاوةَ مدمعي لأراكِ

facebook.com/the.Boooks

أيّ العبادةِ في فؤادكِ فُضِّلتْ هل باعتكافٍ

فيهِ كالنساكِ..؟

أمْ بالسجودِ بنبضِ قلبكِ حينها حتى إلى ربي

أبثُ جفاكِ

لو خيروني بين قلبك والسما لأشَرْتُ صوبكِ

لا أريدُ سواكِ

يا ربةَ الغنجِ التي إن تمتْمَتْ للصخر: حالاً

صَلبُهُ لبّاكِ

إني كتبتُ قصيدةً كافيّةً جَعلَتْ ضميرَ النون

بعضَ ثراكِ

أسميْتُها أنثى وإنكِ مقصدي إن قيلَ أنثى:

من هنا إلاكِ..؟

خصْرٌ كُمَثرى لُفّ في أترُجّةٍ جَمعَ اللذائذ؛ آآهِ

ما أشهاكِ

أما الشِفاهُ إذا نظرْتَ سألْتها :من يا شِفاهُ

بشهْدهِ حلاكِ..؟

والشَعرُ مُنسَدِلُ الظلامِ كأنما الوجْهُ شمسٌ

والخِصَالُ دُجاكِ

والخدّ وردٌ؛ هلْ قتلتِ ورودنا ثم استباحتْ

لونها خدّاكِ٠٠؟

وجميعها؛ أو شئتَ بعضَ جميعها قمرٌ مُضيءٌ

جَلّ مَنْ سَوّاكِ

لو ضَمّها صَلدُ الحديدِ لما بقى صَلداً، وهلْ

يقوى الحديدُ دفاكِ٠٠؟

facebook.com/the.Boooks

لو قالَ قلبي هلْ تريدُ فراقها لنويْتُ قلبي

حينها بعراكِ

واللهِ إنكِ داخلي تتنعّمي وأنا هنالكَ قابعٌ

بلظاكِ

لو كنتُ طيراً لارتقيتُ من الهوى حتى لمسْتُ

منَ الرقيّ سماكِ

واللهِ بي عشقٌ يزمجرُ داخلي غضباً على عُمْرٍ

مَضى بنَوَاكِ

حُباً بربكِ فارفقي بي إنني أنكَبّ ُ منكِ مُقبّلاً

ممشاكِ

قبّلتُ كفكِ في ثباتٍ واعداً إياكِ: أُحيي دائماً

ذِكراكِ

ولإنْ سَلوْتِ فما أزالَ مُوفّياً مَنْ ذا الذي

يقوى على سَلْواكِ٠٠؟

حتى وإن أفطَرْتِ بَعدَ صِيامنا عَن بعضنا؛

أتمَمْتُهُ إمْسَاكي

عَن قلبِ مَاجدَ؛ عَن مَدَامِعِهِ التي نثرَتْ

شراراً كَفكَفتْهُ يَداكِ

عن ضِلعِهِ الشاكي وعَن شريانِهِ عَن جوْفِهِ

الملآنِ بالأشواكِ

عَن أنملٍ كتبَ القصائدَ حُرقةً عَن عقلِهِ

المكلومِ من فُرْقاكِ

عَنْعَنْتُ قولي كي يصيرَ روايةً مَوْفِيّةَ الإسْنادِ

حينَ رَواكِ!..

أذهَبْتِ نورَ العينِ ثمّ سألتِها ببراءَةٍ: يا عينُ

مَا أعماكِ..؟

وصَدَدْتُ عن قولِ العواذلِ دائماً أبقولِ

زورٍ تكتبينَ هلاكي..؟

وَفّيْتِ حُبي بالفراق حبيبتي أهُوَ الجزاءُ

لنابضٍ وَفّاكِ..؟

أجَزاؤهُ أن تُصبحي ذكرى لهُ وَهُوَ المؤمّلُ

دائماً يحياكِ

مَنْ ذا الذي أحيا ضِياءَكِ حينما حُزناً طويلاً

كانَ قدْ أطفاكِ..؟

مَنْ ذا الذي قدْ هَبّ حينَ طلبتهِ وأتاكِ

بالمطلوبِ دُونَ حَراكِ..؟

وطلبتهِ نجماً فأحْضَرَ ضوْءَهُ في سُرعةٍ قدْ صارَ

في مخباكِ

وأمَرْتِهِ شِعْراً فأصْبحَ شاعِراً ورَجَوْتِهِ سَنَداً

فصارَ حِماكِ

facebook.com/the.Boooks

وأمرْتِهِ؛ وطلبتِهِ؛ ورَجَوْتِهِ وجعلتِهِ من جُملةِ

الأملاكِ!..

واحْتلْتِ فيهِ فشابَ مِنكِ تحايُلاً هذا وقلباً

كانَ قدْ وَصّاكِ

هذا أنا؛ حُباً بربكِ فاعلمي بالرُغمِ من هذا

أراكِ ملاكي

إن تطلبي قلبي وماءَ مدامعي لَلآنَ في طبقِ

الرّضى لأتاكِ!..

باردٌ كأسنان الموتى!••

ولكَ أن تعرفَ ماذا تعني لنفسك

ربما تكونُ مستعاراً لبرهةٍ من الزمن

وربما تكونُ كنايةً عن أحدهم

والذي سيأتي بعدَ قليلٍ إذا مُتّ!••

ولكَ أن تعرفَ أيضاً أنكَ مؤقتٌ جداً

-أيْ أنكَ رهنُ الاختفاءِ السريع-

تسيرُ عارياً في طريقٍ يرتديكَ

أو تسيرُ في طريقٍ عارٍ منكَ تماماً!٠٠

وأيضاً يجبُ عليكَ الاطمئنان

فالاطمئنانُ علامةُ البقاء نسبياً

وأقولُ نسبياً لأنكَ تَشْغلُ

مساحةً نسبيةً منك

وما يتبقّى منكَ تشْغلهُ

المساحةُ التي تشْغلها أنت!٠٠

لا عليك؛ ستصابُ بصداع

وبأرَقٍ ينضجُ في عينيك

وبقلقٍ بسيطٍ يجعلكَ

تفرقعُ أصابعكَ ورقبتك وتستلقي

وفجأةً تنهضُ مسرعاً

لأنكَ سمعتَ صفارةَ سخان الماء

وتُحضّرَ كوبَ قهوتكَ المعتاد

وتضعهُ جانباً لتقرأ جريدة

وتنساهُ ليصبحَ بارداً كأسنان الموتى!..

الغيابُ حقٌّ مشروع!..

وأنتَ عندما تغيب

تحمل معكَ أشياءك

وأشياءً تخصّ الغيرَ أيضاً

تحمل ذكرياتهم

وأمانيهم بتواجدك

وتحملُ ذاكرةً لا تُمحى

تؤنبكَ حينَ ابتعادك

وتتذكرُ كلماتهم ورجاءاتهم جميعها

وتغفو وتُفيقُ وتأكلُ وتشربُ وأنتَ

تحملهم!..

وأنتَ تغيبُ بالرغمِ منْ أنّ الغيابَ حقٌّ

مشروع

لكنّ غيرَ المشروعِ هوَ ما تتركهُ وراءكَ

من شوقٍ وتساؤلاتٍ تطغى على باقي أيامهم

وتقولُ: ما ذنبي أنا في كلّ هذا..؟

وتسألُ نفسكَ عن إمكانيةِ الغيابِ:

دونَ حمل الأشياء التي لا تمتّ لكَ بصلة

لكنكَ تتفاجأُ بمقدار العجز الذي تواجهه

أنتَ لا تستطيعُ حملهم على النسيان

ولا حملهم على عدم البحث حينَ رحيلك!..

أنتَ تغيبُ هكذا:

خفيفاً هادئاً بسيطاً كتذكرةِ قطار

بارداً كشيخٍ طاعنٍ في السنّ

لكنّ غيابكَ يُحضرُ كلَّ الأشياءِ التي تمقتها

كلَّ الأشياءِ التي يمقتونها أيضاً!••

الغيابُ حقٌّ مشروع؛ نعم

لكنهُ مشروعٌ في حالةٍ واحدةٍ فقط:

أنْ تغيبَ دونَ أنْ يَشعرَ بكَ أحد

ولا تُحاولْ فعلَ هذا أبداً

أنتَ الآنَ تُلامسُ الاختفاءَ بأناملك!••

الآنَ يبتدئ السهر

الآنَ يبتدئُ السهر

الآنَ وجهكِ

والنجومُ أنا

إذ كنتِ في شكلِ القمر!••

وأراكِ مثلَ خرافةٍ فتحققت

وتمايلَتْ لحدوثها الأشياء:

الزهرُ

والياقوتُ

والأنهارُ

والسحبُ الجميلةُ

والبشر!..

سبحانَ من سواكِ

أعطاكِ ما لم يُعطِ من أحدٍ

فمن ممشاكِ تختالُ الرمالُ

وفي عينيكِ تجتمعُ العجائبُ:

facebook.com/the.Boooks

اليمينُ تكونُ صحواً

واليسارُ هيَ السهر!..

هل تعلمين..؟

إذا نطقتِ

اخضوضرتْ كلّ الحشائشِ والشجر

وإذا خطَوْتِ

تسابقتْ هذي البسيطةُ معْ خُطاكِ

وأخرجتْ أحلى زهرْ!..

يا أمةً تمتدّ من حواءٍ الأولى

تاريخها ذهبٌ يُوَرّثهُ دُررْ!..

يا أولَ التكرارِ

وآخرَ الأسرارِ

وأجملَ الأقدارِ

وأصعبَ الأسوارِ

يا آخرَ الحسنِ الذي يأتي

فتُصعقُ غانياتُ الأرضِ

إنّ حسنكِ لا يُكررهُ القدر!··

أنتِ العظيمةُ

والجميلةُ

والمعقدةُ البسيطةُ

والطريقةُ والطريقُ إلى الطهر!··

حقٌ لحبري أن يظلّ مُبجِّلاً

لأنكِ الأولى لديهِ

ومن أبَتْ:

فنصيحتي أن تنتحر!..

غنّي يا فيروز

غنّي؛ يا فيروزُ غنّي

فما ستكتبهُ الحروفُ جريمةٌ

غنّي يا فيروزُ إني:

من هواءٍ قد نحتُّ اليومَ نفسي

وانتزعتُ الحزنَ من كبدِ السماء

أمطرَتْ عينيّ دمعاً

وارتوتْ أرضُ خُواء

غنّي يا فيروزُ

فالدنيا على كفي تدورْ

والبحرُ لا يأتي هباءً

من هوَ ابنُ البحرِ..؟

قالوا الملحُ

قالوا الموجُ

قالوا الماءْ

تعالوا نثقبُ الدنيا ليبتهجَ الغثاءْ!••

غنّي يا فيروزُ:

فالدنيا على كفي كُرةْ

غنّي يا فيروزُ؛ إني:

ما كتبتُ الآنَ حرفاً عن ضميري

بل ضميرُ المحبرة

غنّي يا فيروزُ عني:

في ضلوعِ الصدرِ

صارت من دفينِ الحزنِ

عندي مقبرة!..

يكفي القليل من اللقاء!..

يكفي عليّ منَ الوصالِ قليلهُ إنْ كنتَ عندَ

كثيرهِ لا تقدرُ

أنتَ الذي أقسمْتَ آخرَ مَوعدٍ :في ليلةٍ عندَ

الهلالِ ستَحضُرُ

وجعلتَ من عودِ الأراكِ علامةً ألقاكَ

موضعهُ؛ وقلتَ ستُبكِرُ

يا لهفَ قلبي كم مكثتُ بموضعي كَفٌ على

قلبٍ وجفنٌ ساهرُ

لا شيءَ إلا حُرقتي وتلهّفي والبردُ يلسعني؛

ورملٌ ساخرُ

أعطيتَني عندَ الغرامِ بدايةً ما كنتُ أعلمُ:

ليسَ عندكَ آخِرُ

عُدْ يا حبيبي جفّ عودُ الملتقى لكنّ عودَ

الشوقِ غَضٌ أخضرُ!..

لِمَ يا أبي··؟

اللّيلُ غادرَ بالضياءِ وظلّ بي

وأنا وحيدْ

رجلٌ تكررني الكآبة

أكابرُ جيداً سناً يفوقُ حكايتي

··وأرى الطفولةَ مذهبي!

كُن بي رحيماً؛ كُن حنوناً

فالأرضُ تجلدني

لِمَ لمْ تزلْ أسفاً وتبقى٠٠؟

ما ظلّ منكَ على الوجوهِ سيختفي

ما زلتُ أذكرُ جيداً:

زمناً بسيطاً كانَ يقضمهُ الغياب

قد تآكلَ صوتُ ذاكرتي

!٠٠دهراً أنادي يا أبي

يا صاحبي؛ قد طالَ بي صمتي

وأجهضَ زفرتي

facebook.com/the.Boooks

أناْ لم أقل:

لو كنتَ يوماً

أنا لمْ أقل شيئاً

!··ولم أبعث إليكَ رسالتي

فافتح قليلاً ما صككَكْتَ من اللقاء

دَعْ قلبكَ المجهولَ يعرفُ من أنا

وانظر بصمتٍ في يدي

لا تكُن ليلاً

أقلّبُ فيكَ ذاكرةً خُواء

لا تكن وجعاً بباب البيتِ

!··يدخلُ دونما إذنٍ إليّ

أخبرني الحقيقةَ

حينَ قتلتَ بي طفلاً

وأقمتَ ميلاً في جدارِ خطيئتكْ

أبقيتهُ ليعيقَ وصلاً تاقَ لك

وخرقتَ

- مدعياً بأنكَ مجبرٌ -

!٠٠بيديكَ أسفلَ مركبي

لِمَ يا أبي٠٠؟

أوَ لم نحقق ما تريدُ أبوّتك٠٠؟

كنا إذا ما عُدتَ نركضُ فرحةً

ولنا طريقتنا لنرسمَ في يديكَ شفاهَنا

ولنا جدالٌ فيكَ:

أولُ من يُقبّلُ وجنتيكَ

يكونُ سيدنا لذاكَ اليوم

أولُ من يضمّكَ يُصبحُ

في محاجرنا كبيراً

أولُ من يشمّ روائحَ التعب الطهورِ

على ثيابكَ

لن يذوقَ النومَ

إذ يمضي يفكرُ:

كم لنا حظٌ

قهوة الغياب!..

أيّ الأكوابِ مناسبٌ لاحتفال كهذا..؟

القهوةُ ليستْ شراباً روتينياً

فأنا أشربُ القهوةَ كلما لزمَ الأمرُ إلى ذلك

أحياناً أشربها لأنّ رأسي جافٌ تماماً

وأحياناً أشرب القهوة وأحتفظُ بالسببِ

لنفسي

الآنَ أنا أحتفلُ بقهوةٍ من صُنعِ يدي

لأولِ مرةٍ أصنعُ قهوةً أكتبُ أنا تفاصيلها

أحتاجُ كوباً فخماً

فهيَ تماماً كأول ديوانٍ يكتبهُ شاعرٌ ما

-لا بدّ أنْ يكونَ استثنائياً-

ما يهمّني هوَ أنْ أتذوّقها برضى

وما يهمّني أيضاً

أنْ يكونَ الكوبُ قديماً كجريدة

وهادئاً كريف

وأنْ تكونَ القهوةُ مُرّةً أيضاً

كغياب!..

قالت وقال!..

قالتْ لهُ إني أحبكَ كلما بَعْدَ الغيابِ بوسْطِ

حضنكَ أرْفلُ

فبضَمّةٍ من صدركَ الحاني أنا عنْ كلّ هذا

البُعدِ حقاً أغفلُ

قالَ استريحي في يديّ حبيبتي واللهِ ما قلبي

بغيركِ يأملُ

أنتِ التي في رمشِ عيني بيتُها والقلْبُ فيها

كلّ يومٍ يَحْفَلُ

قالتْ وإني لستُ أطمعُ بَعْدَها إلا بقُرْبٍ بيننا يتواصلُ

قالَ اسمعي قولي ولا تُبدي له أيّ امتعاضٍ ؛

بلْ دعيني أُكمِلُ

بعضُ الغيابِ وإنْ يطولُ حبيبتي لا بُدّ أنْ يأتي لقاءٌ أطولُ

فالحبّ ليسَ بقربنا أو بُعدنا بلْ كيفَ حالَ غيابنا نتعاملُ !..

واللهِ لا أخفيكِ سراً إنني في ذا الوصالِ لكَمْ
أنا أتحايلُ

وشربتُ أصنافَ العذابِ وكلها جَعَلَتْ
فؤادي في الهوى يتمايلُ

لكنهُ لما تذكّرَ موطني في حِضنكِ الغالي؛ لهُ
يتقبّلُ

قالتْ كفاكَ تغزلاً وتشغفاً هذا الثناءُ عليّ فيهِ
تحايلُ

وتبسّمَتْ حتى أتت في ظنهِ هلْ أنتِ

حورٌ٠٠؟ أمْ أنا أتخيلُ!٠٠

قالتْ وقد غطى الحياءُ حديثها بلْ في عيونكَ

دائماً أناْ أجملُ

قالَ اسمعي٠٠ إني أحبكِ كلما بَعْدَ الغيابِ

بوسْطِ حضنكِ أرفلُ!٠٠

جَلالَةُ السيّد غيابْ!

الغيابُ أحدُ الأمورِ التي:

تجعلكَ فارغاً من نفسك

وتُحيلكَ إلى كانَ وما رادفها

وفي آخرِ ظهورٍ لكَ يبدأ تلاشيكَ

كبخارٍ صاعدٍ من طبقٍ ساخن!..

أنتَ في آخرِ ظهورٍ لكَ تُصبحُ شفافاً جداً

أو ساخناً جداً لتتطايرَ كجزيئاتِ هواء!..

الأسبابُ التي لا تجعلُ الغيابَ منطقياً:

هوَ عدمُ إمكانيةِ إيجادكَ مرةً أخرى

أنتَ لا موجودٌ في وجودك!..

إذ ترحلُ عن مكانٍ ما

في حينِ يبقى المكانُ مكانهُ دونَ حراك!..

والسؤالُ الذي يؤرّقكَ هوَ

لماذا لا يكونُ المكانُ غائباً وأنا لا..؟

وللغيابِ طريقةٌ في السيطرة

إذ يكونُ مفاجئاً كحمى

أو سريعاً كموت

أو تدريجياً كملل !..

ولهُ أيضاً طريقتهُ في الحياة

فأنْ تكونَ غائباً أمرٌ لا يضطركَ لأنْ تكونَ
ميتاً

والغيابُ ذكيٌّ في التعاملِ معَ الآخرين

فأنتَ تكونُ غائباً عن أحدٍ ما

لكنكَ تكونُ حاضراً في جزئيةٍ يحتلها التفكير

الغيابُ أكثرُ الأشياءِ جدلاً في التاريخ

أكثرها فوضويةً

-هذا ما يقولهُ غالبُ الناس-

في حينِ أنهم مخطئونَ تماماً

الغيابُ أكثرُ الأمور تنظيماً

أكثرها التزاماً تجاهَ الآخرين

الغيابُ وإن حضرنا لا يغيب!

وأنتَ تنسى

تلكَ فكرةٌ أخرى عن الغياب

النسيانُ أحدُ الأوهامِ التي:

تعتري الناسَ بينَ حينٍ وآخر

النسيانُ هوَ غيابٌ في الأصل

أنْ تنسى؛ هذا أمرٌ يعني أنّ شيئاً قد غابَ

عنك

وأنْ تُنسى؛ هذا يعني تغييبكَ قسراً أو

سهواً!..

والنسيانُ أمرٌ يجعلُ الغيابَ مقبولاً

فأنتَ تُخبرُ امرأةً أنكَ نسيتَ عيدَ ميلادها

فتجعلُ الأمرَ مقبولاً إلى درجةٍ معقولة

لكنكَ لا تُخبرها بغيابِ الموعدِ عن بالك!..

فالغيابُ أحياناً جريمة

والنسيانُ ذنبٌ يُمكنُ تخطّيه!..

وهوَ أيضاً لعبةٌ ذكيةٌ من السيّدِ غياب

حينَ صارَ مكروهاً لدى الآخرين

فهوَ الذي لا يَغيبُ مهما حاولنا

فاخترعَ النسيانَ لِيَحضرَ نيابةً عنه!..

والغفلةُ لا تُعدّ نسياناً ولا تُعدّ غياباً أيضاً

الغفلةُ هيَ شعوركُ المتعطلُ عن الأشياء

فأنتَ تغفلُ مؤقتاً عن أمرٍ ما

في حينِ أنّ النسيانَ يأخذُ وقتاً أطول!..

والغفلةُ أمرٌ مشروعٌ تماماً

لوجودِ شيءٍ آخرٍ يُلهيك!..

أما النسيانُ كفيلٌ بزيارتكَ حتى في هدوئك

كفيلٌ بزيارتكَ على كرسيّكَ الفخم

وعلى وسادتكَ الوثيرة

لكنّ الغفلةَ تأتيكَ في خضمّ أمورٍ كثيرةٍ لم تنسَها!..

والغفلةُ لا تُلزمكَ على الاعتذار

فهيَ كالغفوةِ في سيارِة أجرة:

كانت تُقِلُّكَ من منزلكَ إلى العمل

أو منَ العملِ إلى منزلك

فتغفلُ عن توجيهِ السائق

والذي بدورهِ قد غفل عن سؤالك:

أينَ تقطنُ يا سيّدي٠٠؟

وهنا؛ وفي لحظةٍ لا تشبهُ الغياب

ولا تشبهُ النسيانَ أيضاً

يقفُ بكَ السائقُ عندَ حانةٍ قديمة

تُذكّركَ بموتِ صديقكَ قربها

حينما هَمّ بقطع الشارع

في الوقتِ الذي كنتَ فيهِ غائباً عن المدينة!••

facebook.com/the.Boooks

تذكرة كسل!••

وأنا مُصابٌ بالحمّى

قدَماي لا تتحدثانِ معَ الطريقِ كثيراً

بضعُ كلماتٍ غيرُ مفهومةٍ فقطْ

كَوّنتْ خبراً مُفادهُ:

كوبُ ماءٍ من البرادْ

وارتماءٌ آخرُ على سريري!••

الحمّى لغةُ المتعبينَ من الحياة

وجَسدٌ لتعيش فيهِ

مُعضلاتكَ بأدقّ تفاصيلها

ولكَ الحريةُ بانتقاءِ أسوأ الذكريات

والخوض فيها مرةً أخرى!..

وأنا أهْجسُ ليدٍ تمتدّ:

كم تبقّى من النعاسِ كي أجْلدْ..؟

فتئنّ مُصدِرةً وميضاً لا أقرأ تفاصيلهْ

مفتاحُ المصباحِ حادّ الطباعْ!

وأنا مُصابٌ بالحمْى

أصابُ أيضاً بنوبةِ ازدحامٍ عاطفيّ

فأحيانا لا أعرفُ الفرقَ

بينَ الشوقِ والرغبة

أو بينَ الأمنيةِ والواجبْ

وأجدُ في سريري

مساحةً كافيةً للتفكيرِ

أو للتكفيرِ عَن وجعي

facebook.com/the.Boooks

تلكَ طريقةُ المحمومينَ في الرجاءْ!••

ليس للحمّى مديرُ أعمالٍ

أو محامٍ تتفاوضُ معهْ

وتسألهُ عن احتياجاتها ورغباتها

فتلبّيها طائِعاً أو مُكرَهاً

الحمّى سَيّدَةُ نفسِها

تنشأُ من ذاكرةٍ لا تُمحى

وتدُبّ في بعضِ أسرارِكَ فتُعلنها

وفي أطرافكَ وكوبِ قهوتكَ

ووسادتكَ والمهدئِ والنعاسْ!..

وأنتَ حينَ تهذي

لا تعلمُ إنْ كانَ ما تقولهُ خطأً أمْ صوابْ!..

وتتلعثمُ بانكسارٍ ساخنْ

أو هزيمةٍ غيرُ معلنةٍ

وتدخل مطاراً لا تُقلعُ منهُ

إلا بتذكِرةِ كَسلٍ غيرِ مُبرّرْ

وتريدُ الاحتجاجَ على درجةٍ

أعطاكَ إياها المضيفْ

-أنتَ المضيفْ-

جَسدُكَ في الحمّى:

عَائِلٌ عالةٌ على نفسِهْ!..

وأنتَ إذ ترى إلى نفسكَ في المرآة

لا تجدُ اتساعَ عَيْنيْكْ

فتحاولُ اقتناصَ فرصةٍ للدهشة

لكنّ ما يُخيّبُ آمالكَ:

أنّ شعوركَ في خُبوءٍ مُسْتمرّ!..

فتعْدِلُ عن فِكرةٍ تزاولُ معها التذكّرْ

أو تقليدَ شخصٍ كانَ أنتْ!

وتسْخرُ من انفلاتِ الضوءِ بينَ أصابعكْ

تلوّحُ أمامَ الضوءِ بأصابعَ مشدودَةٍ للأعلى

تجرّبُ حياتكَ بمقدارِ ما تراهُ يُفلِت من

الضوء

facebook.com/the.Boooks

وتعلمُ أنّ مجالَ الرؤيةِ ضيّقْ

ذلكَ لأنّ أصابعَكَ ارْتختْ للأمامْ!٠٠

وأنا مُصابٌ بالحمّى

أعِيدُ جَدْوَلةَ الوقت:

سآخذُ قيلولةً في الظهيرة

وَوَقتَ الغداءِ سأخبرُ أمي:

بهمسِ اثنتينِ يُغازلنَ حرفاً

خفيفَ الترنّحِ في زاويتينِ

وأختارُ أجملَ بيتٍ لـقيس

وأسمعُ لحنَ سُوناتا

وأكتبُ شِعْراً

وأنزلُ مُمتزجاً بالسعادة

لفناءِ منزلي

وأقطفُ وردة

أقدّمُها لعجُوزٍ في الطريقْ!..

شيءٌ ما

شيءٌ ما يحسدني؛

فلا أستطيعُ الكتابةَ ولا التعبيرَ

ولا ممارسة النزهةِ بقلمي

ولا قراءة السطر المكسورِ

في قصيدةٍ نصفِ جائعةٍ لشطرها الآخر

ولا تهجئةَ الجريدةِ في عمودِ الغزل اليوميّ

الذي أكتبهُ غالباً قبل النومِ

وأمارسُ طبعهُ في حلمي

وأنشرهُ صباحاً في الجرائدِ

وعلى حبل ملابسي أيضاً

شيءٌ ما يجذبني

لكنني أزيدُ ألقاً

إنهُ عيناها!..

أَنَّى ذلكَ الوعْدُ..؟

لِلهِ أمرُ الهوى من قبلُ؛ من بَعدُ قد قدّرَ اللهُ

يأتي ذلكَ البُعدُ

تمضي الليالُ وهمّي لا يُفارقني رُحماكَ ربِّ ألا

يأتينيَ السّعْدُ

آمنتُ باللهِ خيرِ الحاكمينَ لنا ما كانَ في الغيبِ

ما من وقعهِ بُدّ

حَلّ الفراقُ وما بالكفّ من صدّ وذقتُ

النوى بعدَ الْ كانَ لي ودّ

أقسمتُ باللهِ لن يأتيكِ من خبري شيءٌ؛ ولا يبتدي من بعدهِ الردّ

جرّبْتُ حباً طوالَ الوقتِ مُنغلقاً قد ذابَ قلبي وكلّ الأرضِ لي بردُ

دفءٌ إليكِ عظيمٌ حَنّ باللقيا من أولِ العُمرِ فيهِ الجذبُ والشدُّ

رحماكِ من لي إذا ما غبتِ يا حبي حزنٌ عظيمٌ بشرياني لهُ مجدُ!..

هذي حروفي وإني لا أدوّنها كي ما تحنّي إليّ

اليومَ يا وعدُ

وا حرّ قلبي ألاقي الذلّ في يومي يبدو

أموتُ؛ وهذا كلّ ما يبدو!..

في الليلِ أبكي وفي الإبكارِ لي دمعٌ ما

للهمومِ إذا ما صُغتُها حدُّ

يا كاتبَ الوجدِ: لا تلْحَنْ بقافيتي هيهاتَ

هيهاتَ والأفراحَ ما تعدُ

ما لي أراها وقد ضاقت بها رَحُبَت يا موتُ

أهلاً إذا ما وعدُ تبتعدُ!..

في حبها مرّني ما لم يلقَ من أحدٍ :الشوقُ

والصدّ والهجرانُ والوجدُ!..

وعَدْتِ دوماً بألا تبعدي عني يا وعدُ باللهِ:

أَنَّى ذلكَ الوعْدُ..؟

طريقٌ مرتبط بنافذتين

أحياناً أفكرُ في ربطِ الطريقِ إلى منزلي

هكذا لنْ أضطرّ للسيرِ طويلاً إلى الحديقة!..

ما يجعلُ الأمرَ مزعجاً:

هوَ أنّ الطريقَ إلى منزلي وعر

فأنا أقطنُ في بنايةٍ من طابقٍ واحد

لها شرفتانِ وثلاثةُ أبواب

فشرفتاهُ تطلّ إحداهما على حانةٍ قديمة

والأخرى على الحانةِ نفسها

أيْ أنّ الشرفتينِ في غرفةٍ واحدة!..

وأما الأبوابُ فلا

أحدها تستخدمهُ قطتي

والآخرُ أستخدمهُ أنا

والثالثُ مغلقٌ منذُ زمن

فقد ربطتُ بهِ طريقاً قديماً

يؤدّي إلى غرفةٍ بنافذتين!..

كم أنتِ لذيذة!••

أشعرُ برغبةٍ شديدةٍ بالكتابة

وأشعرُ برغبةٍ شديدةٍ بكِ!

وأشعرُ بشعورٍ أصفهُ بتحطّم الرياح

على الأشرعةِ يأساً كابتعادي عنكِ

وأشعرُ بفوضويةِ صباحاتي كلها

وصوتكِ الوحيدُ القادرُ على ترتيبها!••

كم أنتِ أنثى

كم أنتِ أنثى

وكم أنثى أنتِ..؟

وكم أشعرُ برجولتي معكِ

وباكتمالي بوجودكْ

وبهدوئي بجواركْ

هل كانَ الجمالُ يُعرفُ قبلَ خلقكْ..؟

أنا متوحدٌ بكِ

متفردٌ بنعومتكْ

موزعٌ على زوايا الأرضِ

بلمسةِ يديكِ لألّمها!..

كم أشتهي فاكهةَ يديكِ

وكم يلسعني البردُ

وتوخزني ذكرى لقائك الأول

فقررتُ أن أرتديني وأغلفني

وأضعني بهدوءٍ بينَ رئتيكِ:

دونَ أن أزاحمَ إحداها

لأشعرَ بالدفءِ فقط!..

كم أنتِ قلبي

وكم أنتِ عينيّ

وكم أنتِ جوفي

إذاً؛ كم أنتِ تكويني!..

وأنا أزحفُ منذ أمدٍ ليسَ بقريبٍ لأراكِ

فقداسةُ التقائكِ تُعطلُ مفاصلي

وأشعرُ أنّ الأرضَ احتقنت داخلها

أنتِ مزمنةٌ بي فلا فرارَ منكِ

وأنتِ أزمنةٌ لي؛ أتمنى ألا تنقضي!..

أشعرُ برغبةٍ عارمةٍ لاحتوائكْ

وأشعرُ بحاجتي الماسّة لهوائكْ

وأشعرُ بانسكابي رويداً رويداً بأضلاعكْ

لأكُونَ طبقةً خارجية

إذ أنتِ الداخلُ والمكَوّنُ دائماً!..

وأنا أتعجبُ كثيراً مني

facebook.com/the.Boooks

كم امرأةً في الأرضِ الآنَ

ولا أرى سواكِ··؟

وأتمنى أنكِ لي

رغمَ عَنَتِ الأقدار وشدةِ مراسها!··

أنا أُجلدُ في معتقل حبكِ ولن أُفصح

أنا أشتاقكِ؛ وكالأطفالِ أرددُ:

أريدُ أمي – يا أمي–

بيدَ أن النداءَ لا يُعدّ استعارةً وكناية

أشباحُ حلم!..

إياكَ يا قلبي وأنْ تبكِ اتهامكْ

أنتَ تُجْبرُ كُلّ مَنْ في الأرضِ

أنْ يُبْدُوا احْترَامَكْ!..

أنتَ تعرفُ جيّداً:

أنّ مَنْ رَكَلَ الحقيقةَ ساخراً

ما كانَ في يومٍ أمامكْ!..

إياكَ يا قلبي

كمْ أعطيتهُمْ حَقّ اللجُوءْ

وكمْ ناديتهُمْ عَلَناً لطاولةِ التسامحِ

كمْ وكمْ..

بالرغمِ من عَجْزِ الضياءِ

إذا أهَمّ بهِمْ ظلامكْ!..

لا زلتَ موجوداً

على لوحٍ يُزيّنُ حَائِطَ الذكْرَى

بأوْسَطِ صُورةٍ

حَمَلَتْ مَلامِحَ سَيّدٍ

أعطى الأمانَ

لواقفينِ بخلفهِ

ظنوا بلحظةِ جَهْلِهِمْ

سِعَةَ استطاعتهمْ

-ولوْ للمرةِ الأولى-

بأنْ يُقصُوكَ منْ أفكارهِمْ

لا زلتَ موجوداً

فاقرأ عليهِمْ ما قرأتَ

على الذينَ تعاهَدُوا من قبلُ:

أنْ يجدُوا طريقاً يَجْذِبُوا فيهِ اهْتِمامكْ!..

أعْلِنْ – بقبضةِ ماردٍ – نُقصَانهمْ

زلْزلْ عُقولاً ناوَشَتْكَ

مُرَادُها إحْدَاثُ شرْخٍ

كيْ يَرَوا ماذا سيحْدُثُ

في مَوَازينِ الفوارقِ بينَ مَنْ:

نَقَصُوكَ أعوَاماً وَفاجَأهُمْ تمامكْ!..

يا قلبُ لا تبكِ

وَعنْ هذا فأعْرِضْ

حتى مجَازاً لوْ سَمِعْتَ حَدِيثهُمْ

جَازهِمْ صَمْتاً

-وعلى سَبيلِ مجَازهِمْ-

مَنْ هُمْ..؟

إذا امْتدَحُوكَ؛ أيّاً ما يَقولُوا لا تصَدّقْ

ذاكَ خوفٌ – ليسَ إلا – منْ مقامكْ!٠٠

هَمَسَ المَسَاءُ لِدَوْرَةِ الأيّامِ يُخْبرُهَا :وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَخْشَ إعصارَ انتِقامكْ

فإذا بِهَا تَهْتزُّ؛ يَعْلُو صَوْتُهَا :عَامٌ عَلَيْكَ؛ فَقَدْ مَضَى مَا كَانَ عَامكْ!٠٠

يَا مَنْ طَعَنْتَ بِخَنْجَرِ الأيّامِ أفْئِدَةً هَلْ كُنْتَ تَحْسَبُهُ بَعِيدَاً عَنْ عِظامكْ٠٠؟

فإذا الْتَقَيْتَ بِمَنْ يَصُمْ عَنْ غَيْرِهِ حَتى لِسَاناً؛ قُلْ لَهُ أكْمِلْ صِيامكْ!٠٠

إياكَ يا قلبي

ولا تَعْبَأ بِهِمْ

وإذا أصَرّوا باتّهامكْ

لا تَخَفْ شيْئاً

وَقُمْ وانْفُثْ ثلاثاً عَنْ يَسَاركْ

إنهمْ أشباحُ حُلْمٍ

رَاوَدُوا حَتمَاً مَنامكْ!..

بكت السماء

بَكت السماءُ فأقلقَتْ أجفاني وبكيتُ حتى

قلتُ: ما أبكاني··؟

أبكي مواساةً لدمعِ سمائنا··؟ أمْ أنّ دمعي قد

نوى هجراني··؟

من بعدِ ذلكَ لم تَعُدْ لِيَ مقلةٌ وبِدَاخلِ المرآةِ

لستُ أراني!··

العيدُ أنتِ

مقدارُ السعادةِ الآنَ لم يُخلقْ إلا لي

وانبثاقُ ابتسامتي من بينِ تجاعيدِ شفاهي:

كانَ كفيلاً بتركِ ضوءٍ ساقطٍ على البابْ

العيدُ أبجديةُ التاريخِ

لتجديدِ ميثاقِ الفرحةِ بكْ!..

العيدُ أنا

فكمْ رجلاً مثلي

يعرفُ أنثى مثلكْ..؟

والعيدُ أنا

كمْ سنةً سيضعُني القدرُ

على كفّيكِ..؟

والعيدُ أنتِ

فلعثمةُ الفرحِ

باقيةٌ على أحرفي

التي أنحرها عندَ أقدام رضاكِ!..

والعيدُ أنتِ

لأنّ الدفءَ أنتِ

والبحرَ أنتِ

والموجَ أنتِ

والروحَ أنتِ

والمدى

والضياءْ!··

والعيدَ نحنُ أنتِ وأنا

ولا بدّ أنْ تكوني الأولى لديّ دائماً

وأنْ تكوني الأنثى

وأنْ تكوني الأمّ

والروحَ

والذاتَ

والطمأنينةَ

ومَصدرَ الفخرِ

ومَصدرَ الخبرِ أيضاً!..

وبقيَ أنْ يتركَ العيدُ عقداً على عُنقِكْ

وقُبلةً من شفاهي على يديكِ

ذاتُ القبلةِ التى فكّرتُ

أنْ أرفعَ يدكِ إليّ فأقبّلُها

فوجَدْتُني أنحني تماماً

بملءِ شوقي لكِ وأقبّلُها!..

وبقيَ أنْ يتركَ العيدُ وَعْدَ لقاءْ

فإني أحتاجُ وطناً يلمّ شتاتي!..

العيدُ أنتِ

ولا امرأةٌ سواكِ

العيدُ أنتِ

ولا شيءٌ على الدنيا يَردّ ضياكِ

العيدُ أنتِ

فكمْ بحراً سيلزمني

لأكتبَ أنني أهواكِ!..

العيدُ أنتِ

الحبّ

الحبّ امرأةٌ:

بأولِ موعدٍ لها خرجتْ

فأخّرَها الطريقُ عن اللقاءِ

وأُهْمِلَتْ!..

الحبّ شابٌ:

في خِضمّ شُجونهِ

نسيَ اللقاءَ

فأصبحَ موعدُ الأنثى

كفكرتهِ التي ما أُكْمِلَتْ!..

إنّ الحبّ:

كقمةٍ عربيةٍ

تُلقي خطاباً واضحاً

تُهملهُ الصحافة

وكأنّها قد أُجّلتْ!..

facebook.com/the.Boooks

أقيموا الحزن

أقيموا الحُزنَ في الدنيا؛ أقيموا ففي أشواقها
روحي تهيمُ
تُريدُ بمَنْ بجوفِ الأرضِ وصْلاً على أملٍ
بعَوْدَتِها تُقيمُ
وما منْ ميتٍ قدْ عادَ حياً وهذا ما قضاهُ لنا
العليمُ
أنادي الموتَ: يا مسكينُ مهلاً لأنتَ الآنَ من
عقلٍ عديمُ

أتحسبُ أنْ ستُنسيني غراماً لهُ في داخلي وقعٌ

عظيمُ

أتحسبُ أنْ سأصبحُ عنهُ سالٍ ويُصبحُ ذِكرهُ

أثراً قديمْ

أتحسبُ أنْ ستَسأمهُ دموعي إذا ما جاءَها ليلٌ

بهيمُ

وأنتَ الآنَ تحسبُني سأنسى بيومٍ صرتَ ليَ

الغريمُ

facebook.com/the.Boooks

أمجنونٌ تُراكَ..؟ إليكَ عني فإني لستُ منْ

قدَرٍ عقيمُ

فيا موتَ الحياةِ غداً سيأتي وتُصبحُ فيهِ من

نفعٍ عديمُ

وتبكي مثلنا؛ وتقولُ هيا :أقيموا الحزنَ في

الدنيا أقيموا!..

أصواتٌ تتكدس

ولماذا لا أغلقُ ضوءَ غرفتي..؟

الظلامُ بطبيعتهِ أليف

لكني أخشى الكائنات التي تعيشُ في الظلام

أحياناً أتنفسُ ويصدرُ مني صوت

وسرعانَ ما يتعلقُ الصوتُ بالهواءِ الذي

أتنفسه

فينتقلُ عبرَ الحائطِ إلى الغرفةِ المجاورة

ويأخذُ مكانهُ في فخارٍ قديمٍ في زاويةِ الغرفة

-ولم أكن أعلمُ هذا في بادئ الأمر-

وتستمرّ الأصواتُ في التكدّس داخلَ

الفخار!..

ما يهمّني الآن هوَ الكائناتُ الليلية

التي تكونُ أصواتها بشكلٍ لامع

كفسفورٍ مُضيءٍ تماماً

فحينَ تتهامسُ عليّ وتتآمر:

تنتقلُ اللمعةُ بينَ طرَفَي الغرفة

وأفتحُ ضوءَ غرفتي

بذلكَ أقطعُ عليهم حديثهم

فالفسفورُ لا يُلمعُ في الضوء!..

وإن كانَ لا بدّ

أخيفهم بأصوات قديمة

كأنْ أفتحَ بابَ غرفتي

فيصدرُ صريرٌ احتفظَ بهِ البابُ لسنوات

أو أن أفتحَ المذياعَ فيئنّ

أو أنْ أحملَ الفخارَ من الغرفةِ المجاورة

وأفتحُ غطاءَهُ في غرفتي:

وأنا أُغلقُ أذنيّ!..

صَلِّ

إذا خانتك أفئدةٌ فإني :يخونُ بخطوتي في

الضوءِ ظلي !••

فلا تعبأ بما يأتيكَ ظلماً وقُمْ بالليلِ يا مظلومُ

صَلِّ

فما لجروحهم تلقى دواءً ولا عنها سيُنْسيكَ

التسلي !••

ولا تَعجَبْ لمن وصلوا لأعلى منَ الأعلى

سيبتدئُ التدلي

علوّ المرءِ يتبعهُ هبوطٌ وهذا السرّ يتبعهُ التجلي

ومن بشبابهِ أضحى قوياً سيكْبرُ؛ ثمّ قوّتهُ

تُولّي!..

لعبة الأعضاء

ساآخذ أذنَ أحدكم وأركضُ بها

ثمّ ألقّنُها ما شئتُ أنْ ألقّنها

وأعيدها إليه بعدَ ذلك كما أخذتُها

ونرى إنْ كانَ سيمسكُ برأسهِ متألماً

لدخولِ الكلامِ إلى عقلهِ دفعةً واحدة

أمْ سيمسكُ برأسهِ وينفجرُ ضاحكاً

لأنّ الكلامَ المتتابعَ يُدغدغُ أذنه

facebook.com/the.Boooks

أمْ أنهُ سيهزّ رأسهُ رافضاً كلّ الكلام

ليثبتُ أنّ في هذا الزمنِ يُوجدُ مَنْ:

يرفضونَ إعطاءَ آذانهم لأحد!••

وسآخذ قدمَ أحدكم

ثمّ أركضُ بها طويلاً

وأذهبُ إلى أماكنَ كثيرة

وأدرّبها أنْ تذهبَ بعدَ ذلكَ بصاحبها

إلى هذهِ الأماكن ثمّ أعيدها إليهِ كما أخذتُها

وأرى إنْ كانَ سيستسلمُ لخُطاه

أمْ سيرى إلى أينَ تأخذهُ ويُقرّرْ

أمْ سيسأَلُ قبلَ أنْ تأخذهُ إلى أيّ مكان!..

وسآخذ قلبَ أحدكم

ولكني هذهِ المرّةَ لنْ أعيدهُ

أو لنْ أستطيعَ إرجاعهُ أبداً

فالقلوبُ هيَ الوحيدةُ التي:

تعطبُ بعدَ استعمالها للمرّةِ الأولى!..

هاتِ ردكِ حالاً!..

حَيي الديارَ إذا مَرَرْتَ وقلْ لها هلْ صرتِ من

بَعدِ النوى أطلالا

ما بالُ زهركِ في ذبولٍ واضحٍ جرّت مياهُكِ

شُحّها أذيالا!..

يا صاحبي واكتبْ على جُدرَانها بَعضَ

القصَائِدِ؛ غنِّها مَوّالا

يا صاحبي هذِي ديارُ حَبيبتي كنا صغاراً

والظلالُ طِوالا

هُنا رَبِيْتُ وقلتُ شِعراً ها هُنا فانظرْ تجدْ مما

أقولُ خيالا

وهُنا التقيتُ بمن تفرّدَ حُسنها حازتْ

خِصالاً فوقهنّ دَلالا

إن تمتمَتْ: صابَ الدوارُ جليسَها وحَسِبْتَ

مجلسها يَضمُّ كُسالى!..

أو حَرَّكَتْ لحظاً إليكَ إشارةً لغدوْتَ من

وقعِ الهوى تِمثالا

واسمعْ كثيراً للمكانِ وقولهِ اسألهُ عنها؛

واتّبعْ ما قالا

يا صاحبي حُزنُ البريةِ داخلي جيلٌ بجيلٍ

فاستوى أجيالا!..

أدخلتُها قلبي بملءِ إرادتي وَوَضعتُ في

جوفي لها الأقفالا

أنفاسها رئتي؛ وماءُ عُرُوقها في ماءِ جسمي

ماكثاً مُحتالا

وأحبها حُبّ ابنَ ماجةَ للتقى حتى كتبتُ

بحُبها الأمثالا!··

بي من حَرارةِ حبها نارٌ ولوْ لمسَتْ حَرارتهُ

لقَتْ أهوالا

والشوقُ مجتمعٌ لها في داخلي في رهبةِ المشتاقِ

تَلْقَ جلالا

قاطعتُ دَرْبَ المفسدينَ غرامنا وطمسْتُ عن

سمعي بها العذالا

يا صاحبي خذ دَمعَ ماجدَ عندَها واسكبهُ

رقراقاً لها همّالا

أخبرْ فؤادَ حبيبتي عَن حالتي قلْ أيّ شيءٍ

يقلبُ الأحوالا

وانقلْ برفقٍ يا صُوَيحبُ ما يلي فالرفقُ شيءٌ

قدْ يهز جبالا

يا مَنْ لها قلبي وكلّ حشاشتي قتلي على

كفّيكِ صارَ حلالا

facebook.com/the.Boooks

فداكِ من هابتْ قصائِدُهُ الدُنا الصّدُ في شرعِ

الغرامِ ضلالا

جسْمي عليلٌ قدْ تورّمَ جلدُهُ هذا ابتِلا؛ لا

تحسَبيهِ جمالا

إن شِئتِ موتي صارَ أمركِ نافذاً أو شِئتِ

وَصْلي: هاتِ رَدّكِ حالا!··

وداعاً؛ وداعاً!..

وداعاً؛ وداعاً

وهذا كلامي الجديدُ الأخيرْ

وداعاً صديقي

شقيقي

سريري الصغير!..

سأرحلُ عنكم

وأبدأ حزني بعيداً بعيداً

ورحلة بحثيَ عن كلّ شيءٍ:

يُعيدُ حياتي إليّ / إليكم

وعن ذكرياتي:

فلستُ أريدُ تذكرَ شيءٍ

ولا صوتَ جدي

وجرحي القديمُ بآخر كفي

وخوفي عليكمْ:

من الموتِ إن صارَ يخرجُ مني

facebook.com/the.Boooks

على شكلِ قلبٍ مريضٍ كسيرْ!••

سأرحلُ عنكم

فعُدّوا منَ الآنَ بضعَ سنينَ

لأوقظَ حُزني وأبدأ سيري

بلَيلٍ قويّ الملامحِ جداً

لهُ حاجبان كموجةِ بحرٍ

يُثيرُ جدالاً بداخلِ مقهىً معَ الأقرباء:

-لنا قلبُ أمي

-لنا حقنا في قصيدةِ جدي

وأنظرُ من شقّ بابٍ قديمٍ

وأخرجُ فيهم··

لكم كستناءُ الربيعِ؛ وإني:

سآخذ شاةً وودواً كثيراً

وأركضُ عنها

وتأتي إليّ بفعلِ الصفير!··

أريدُ حياةً كموقدِ كوخٍ بسيطِ البناءْ

وبيتاً صغيراً

وساعةَ رملٍ على الطاولة!٠٠

وإني أطير

إلى ما لستُ أدري

أطيرُ شعاعاً

وأصبحُ قمحاً

يراهُ اليتامى بعيدٍ وحيدٍ

وفي آخر الأرضِ

أصبحُ حلماً لشخصٍ فقير!..

وداعاً؛ وداعاً

وهذا الوداعُ سيُتلى بياناً

يصفقُ فيهِ الرضيعُ

الحصارُ؛ البكاءُ

السماءُ

الطبيعةُ أيضاً

وعطرُ البنفسجِ

لماذا تغيبين..؟

ولا أعلمُ أينَ أنتِ الآن

لكني متأكدٌ أن الشمسَ تُشرقُ

من يديكِ في هذهِ اللحظة

وأن السحابَ ينطلقُ بين شفتيكِ

بشكلٍ بديهيٍ يؤدي إلى النضجْ!..

ولا بدّ أن تكوني قدَرَاً مليئاً بالمفاجآت

وأن تكوني عُرساً خرافياً

تحضرهُ الملائكة

وتزفّ النجومُ خبرهُ بدهشةٍ عارمة!٠٠

أطلبُ منكِ الغفران

وأطلبُ منكِ الدفء

فاغفري لهذا القلبِ:

أنيناً ليلياً يُوقظُ سُباتَ الفجر

ويتحدثُ بضوءٍ مُصابٍ بالحمى

ألا ترينَ احمرارَ الشفقْ٠٠؟

وأكررُ مطلبي بابتسامتكِ أيضاً

فأنا ببساطةٍ أعيشُ هناك:

في صوتٍ يتهدّجْ

وهواءٍ يتدحرجُ في رئتيكِ!..

من أنا إذا لم تكوني لي..؟

وماذا يساوي هذا الفقيرُ

النائمُ على رصيفٍ متكسر

يرتدي رَثّ الثياب

وينظرُ لبرجٍ عاجيّ

تطلُّ من شرفتهِ خصلتا شَعر

يقفز ليمسكَ بإحداهما

كما يفعلُ الجائعُ مع الأملْ!..

ولعُمرٍ يمرّ سريعاً معكِ

مع انتظاري المتلهفِ للقاءٍ:

تفوحُ رائحةُ الفرح منه

للقاءٍ أُمسكُ فيهِ يداً مشابهةً ليدكْ

إذ يكونُ دفؤها أكبر

وحنانها أكبر

ونعومتها أكبر

وقُبلتي عليها أكبر

لأنكِ في كلّ يومٍ:

تُصبحينَ أفضل من ذي قبل

فلمْ تَعُدْ يدكِ كما كانت

ولم تعد لهفتي أيضاً كذلكْ!..

أنتِ يا مفردةً سقطتْ سهواً

من معجمٍ لغويّ

لم ينسَها التاريخُ

ولم يأتِ على ذِكرها المؤرخ

لبيكِ؛ كم أتمناكِ

لأنكِ دائمةُ الحضور بي

وأنا دائمُ التهرّب

فلا أقوى على محادثةٍ

تطولُ لأكثرَ من عشر دقائقْ

هذا يضعني في موقفٍ محرجٍ جداً!··

كيفَ لكاتبٍ أن يتلعثمَ من قراءةِ رواية

كيفَ لقارئٍ أن يكتبَ روايةً أيضاً··؟

ولكِ مطلقُ العبثِ المنظّمْ

في اختيار ما لم أستطعْ كتابتهُ أو قراءته

ويجدرُ بي أن أضعَ ملاحظةً صغيرةً

في حقيبةِ يدكْ

facebook.com/the.Boooks

تُذكّركِ بأنّ الخياراتِ المتاحةِ

لم تذكرْ شيئاً سواكِ!٠٠

يا إلهي

كأنكِ قرارٌ يقضي بإقصائي عن الأرض

وبقضاءِ فترةِ عقوبتي في حيرةٍ هائلة

أبحثُ عن جوابٍ لسؤالٍ وحيدْ

لماذا تغيبين٠٠؟

وأنا لا أحتاجُ أحداً إلا أنتِ

ولا أعيرُ اهتماماً للوقتِ بعيداً عنكِ

فهذا العُمرُ الذي ينقضي دونكِ

يقتلني ببطءْ

ويرقصُ رقصةً دائريةً حولَ جثةِ حزني

ولا أنظرُ إلى المرآة

فوجهي الخشبيّ في غيابك

لا يدلّ على ملامحَ مفهومة

أو علاماتٍ فارقةٍ لأتأكدَ مني

وأصرخُ فرحاً هذا أنا!

رحماكِ

ليس لسطوري معنىً واضح

فهي تودّ إخباركِ بترددٍ عن رغبتي

في أنْ أحملكِ كإكليل جبلٍ نائي

وأجثو على ركبتيّ

وأرفعكِ بكفّيّ عالياً في السماء

حتى أرى من خلالكِ قرصَ الشمس

وأنتظر حدوث شيءٍ هائل

شيءٌ يجعلني أميراً

لأرتب فوضى عارمةً تركها اختفاؤكْ!..

ورحماكِ؛ لا أجيدُ الغرقَ لأحصل على شفقةِ

المنقذ

ولا أجيدُ السباحة لألبّي صراخَ الغريق

أنا لا أجيدُ شيئاً إلاكِ

ولا أعرفُ الخبْءَ في نواياي أيضاً

facebook.com/the.Boooks

فإما أن أكون حالماً:

بظلامٍ تدسهُ جدائلكِ بي

وإما أن أرتكبَ نصيباً منكِ

كاقتباسٍ لقصيدةٍ تظهرُ جلياً على محياكِ

أو قُبلةٍ لشقّ شفاهكِ السُفلى

أظنّ معها أنكِ ستُخرجينَ قطعةَ تفاح

وأني أنقذتكِ من نعاسٍ

أو أنقذتُ نفسي من نعاسكِ الذي:

سيخذلُ لهفتي بلقائكْ!٠٠

أنا لا أحبكِ باشتهاءٍ يترصدُ بابي

ولا أرجو من ذلكَ إبعادَ الشبهةِ عني

أنا فقط أرجو أن ألقاكِ

بطريقةٍ فجائيةٍ تشبهُ الموت!٠٠

ما عدتُ!..

ما عُدتُ؛ لكني:

وضعتُ الأرضَ فوقَ وسادتي

وأمرتُها بالنوم!..

ما عُدتُ أيضاً للحياةِ فإنها:

مرضٌ بسيطٌ سوفَ أحقنهُ بحاقنةِ المهدئ

وعرفتُ أنّ حكايتي امتدّتْ من الكلمات

حتى آخرِ الميناءِ في سطرٍ أخيرٍ:

فيهِ نقطةُ خاتمةْ

ما الخاتمة٠٠؟

إني وقد آنستُ ناراً في شراييني

انطلقتُ؛

لعلّ فيها ما يُعيدُ حياتيَ الأولى إليّ

ووددْتُ لو أبكي:

فما أنا بالذي قد كانَ حقاً ها هُنا!٠٠

ما عُدتُ

لكني وضعتُ أدويةَ النعاسِ بحاويةْ

فالشمسُ باتت كلّ يومٍ:

في شروقٍ مستمر في الدّنا

وإنّ روحي منْ كلّ ما يُبقي بقائي خاوية!..

ما عُدتُ؛ إني هُنا سراً أسابقها الثواني

وأعدّ كم وقتاً مضى:

والغيبُ غيّبني عن الدنيا

وأعدّ كم منْ إبرةٍ سكَنتْ وريدي

وكمْ من حبةٍ أنسى بها أيضاً جديدي

وكمْ من صرخةٍ في وجهِ آنسةٍ بمستشفى:

أعيدي حقنَ قلبي بالمهدّئ

أرجوك آنستي أعيدي!..

ما عُدتُ؛ لكني وجدتُ لُفافةً فيها قصيدةْ

وتهيّجَتْ نفسي إلى قلمٍ بطاولةٍ بعيدةْ

فكتبتُ لاسمي الحزنُ؛

لا للحزنِ اسمي؛ إنّ قاتلتي عنيدةْ!

ما عُدتُ

-لا-

حتى وإنْ عُدتُ انتظرتُ:

نهايتي

-كلا-

بدايتيَ الشريدة

حتى وإنْ ما عُدتُ

لا فرحٌ هنالكَ ينتظرْ

لا نجمٌ يُلوّحُ إنْ أتيتُ منَ السفر

فقط الرواياتُ التي كانت خيالاً:

تأتي نهايتها سعيدة!••

غيابي يسير

ركضتُ كثيراً

وما إنْ سقطتُ على رُكبتيّ

تثاءبَ جرحٌ قديمٌ عليها

وما إنْ تثاءبَ حتى سمعتُ صراخَ الدماءْ!٠٠

ولستُ بخيرٍ؛ فلا تسألوني

ركضتُ كثيراً

وما إنْ سقطتُ تسارعَ نبضي

وأصبحَ قلبي ضعيفاً هزيلاً

وحتى مُنِعْتُ من الركضِ ليلاً

وطعمِ السجائرِ

وأيضاً تضاءلَ مقدارُ كوبي من الكافيين

وأصبحتُ شيخاً بطيءَ التذكّرِ

لا تسألوني؛ فلستُ بخير!..

ولستُ الذي كنتمُ(و) تعرفوهُ

ولستُ الصديقَ الوفيّ زماناً

فإنّ الوفاءَ يكونُ حُضوراً

وإنّ حضوري محاهُ الغياب!••

ركضتُ كثيراً؛ وما إنْ سقطتُ

تنازلَ قلبي عن النبضِ حتى:

وجدتُ الممرّضَ قربَ سريري

وهذا المغذي – بطرفٍ دقيقٍ لهُ – في ذراعي

وهمْسُ الطبيبِ الذي سوفَ يبقى طبيبي

طويلاً

-تدحرجَ في أذنيّ تِباعاً كضربِ الطبولِ-

يقولُ طبيبي:

-أتيتَ إلينا وكنتَ تُغني

-أكنتُ أغني٠٠؟

-نعم يا بُنيّ؛ كثيراً تغني

-أغاني الغياب٠٠؟

-وقد كنتَ تهذي

-أغني وأهذي٠٠؟

facebook.com/the.Boooks

-نعم يا بنيّ؛ فقلبٌ ضعيفٌ كقلبكَ حتماً:

سيهذي طويلاً ؛ يغني كثيراً

ويقتلُ من هَذْيهِ صاحبَه!..

ركضتُ كثيراً

وما إنْ ركضتُ

شعرْتُ بوخزٍ بأوسطِ صدري

وحاولتُ - جَهدي - أعيد اتزاني

ولكنّ قلبي أرادَ السقوط

وما إنْ سقطتُ على ركبتيّ

تثاءبَ جرحٌ قديمٌ عليها

وغبتُ عن الوعي فورَ سقوطي

-وحالَ غيابي عن الوعي أهذي-

رأيتُ البياضَ المنيرَ أمامي

سمعتُ الطبولَ ترحّبَ أيضاً

وإني أطيرُ ووجهي لأعلى

وإني أطيرُ بخفةِ ريشِ الحمامِ الصغيرْ

وإني أطيرُ إلى ما لستُ أدري

وأسمعُ صوتاً كإنذارِ حربٍ يسيرُ ورائي

وأسمعُ ضرباً على الأرضِ تحتي

وأسمعُ ركضاً لجمْعٍ غفيرْ!٠٠

ركضتُ كثيراً

فلا تسألوني إذا ما كنتُ حياً

ولا تسألوني إذا ما كنتُ مَيْتاً

ولا تسألوني؛ فلستُ بخير!٠٠

ركضتُ كثيراً

وقلبي ضعيفٌ ويبدو بأني:

أودّعُ ركضي تماماً تماماً

وداعاً لركضي

وقهوةَ ليلي

وكوبي المفضل

وداعاً حضوري

فإنّ حضوري توقّفَ أيضاً

وإنّ غيابي هوَ مَنْ يسير!••

منام

يا مَنْ خلقتَ منَ الترابِ جميعَنا وجميعُنا بالماءِ

أصبحَ حياً

امْنُنْ عليّ بما يُزيلُ كآبتي جفّفْ غزيرَ الدمعِ

منْ عينيّا

واكتُبْ – إذا شئتَ – انتهاءَ مآتمي أبْعِدْ ثقيلَ

الهمّ عن كتفيّا!••

بي ما يمورُ منَ المآسي كلها قلبٌ يُذيبُ بنبضهِ

جَنبيّا!٠٠

أحبَبْتُ في زمنٍ قريبٍ طفلةً وبسطْتُ من

شوقي لها كفّيّا!٠٠

فتمَنّعتْ بالغُنجِ أيّ تَمَنّعٍ حتى أشارتْ أنْ

هَلُمّ إليّ!

وأتيتُ غيرَ مُصدقٍ لندائها وتلعثمَتْ من

فرحتي شفَتيّا!٠٠

facebook.com/the.Boooks

لكنني لما وصلتُ لدارها قالتْ: أتبغي في

دُنُوّكَ غيّا٠٠؟

فحلفتُ: لا؛ قالتْ بكلّ دلالها في حينِ لامسَ

كفّها خدّيا!٠٠

أنتَ الذي طلبَ الْتياعاً وحدهُ لكَ ما أردتَ؛

فيا مُثابرُ هيّا

وأنا على الفورِ اقتربتُ مُطاوعاً ما صدّقَتْ

أمراً لها أذنيّا!٠٠

فسقطتُ من فوري؛ وقمتُ مسائلاً :كَمْ مَرّةً

عِيدَ المنامُ عليّا··؟

أتدلى من الأسفل

وأريدُ أن أتدلى من الأسفل!

-لأنهُ لا توجدُ نهايةٌ في الهبوط-

ولا نهايةٌ للعلوّ!..

أريدُ أن أتدلى من الأسفلِ تماماً:

حيثُ أرى أسفلهُ بعيداً عن ذي قبل

وأبدو كفجوةٍ تؤدي إلى فجوةٍ أخرى

كثقبٍ أسودٍ عبرَ الزمن!..

وأريدُ أن أتعلقَ بقشٍ خفيف

أنْ أجرّبَ حالةً كالتي يمرّ بها الغريق

وأتعلقَ بقشةٍ تهتزّ في البحر

وعليها نملةٌ تمشي بأمان

في حينِ أني خائفٌ تماماً!..

-زمنُ المسافةِ التي تقطعها النملة

من أولِ القشةِ إلى آخرها-

زمنٌ كفيلٌ بغرقٍ هادئ

facebook.com/the.Boooks

ربما أخرجُ بعدَ سنينَ بزعنفتينِ

وربما لا أخرجُ أبداً

فقد تنبتُ لي أذرعٌ كثيرة

وأتزوّجُ ابنةَ أخطبوطٍ عظيمٍ:

يملأ رأسي بإنجازاتهِ ورحلاتهِ عبرَ المحيط

في حينِ أنّ ابنتهُ لا تجيدُ استخدامَ مجسّاتها

فهيَ تسحبُ الماءَ وتبعثُ الماءَ في الماء!..

وهكذا تصبحُ لي سلالةٌ حمقاء

من أخابيطَ عملاقة

وأفتقدُ أهلي؛

وأفتقدُ منفضةَ سجائري

وكوبَ قهوتي

وأعلنُ بذلكَ رحلتي الأخيرة إلى الشاطئ

وفي نفسِ الوقتِ يُحذرني أخطبوطٌ عجوزٌ من الشاطئ

وأنا أنظرُ إلى رأسهِ المملوء بالحبر

وأغمسُ إحدى أذرعي في عينهِ اليمنى

فتخرجُ سوداءَ تماماً؛ لأوقّعَ وصيّتي لأبنائي:

البحرُ الشرقيّ لابني الأكبر

البحرُ الغربيّ مؤجرٌ لقبيلةِ طحالبٍ زرقاء

قاعُ البحرِ وَقْفٌ لعائلتي كلها

وأحملُ رأسَ عمّي – والد زوجتي–

المملوء بالحبر معي

وأرسمُ خارطةً بذراعي الأولى

وبالثانيةِ أشربُ قهوةً بحرية

وبالثالثةِ أداعبُ طفلي

الذي سيصبحُ يتيماً عما قريب

وأحكّ ظهري بذراعٍ رابعةٍ

وأكتشفُ أني أحكّ ظهرَ ابني الذي تعلقَ

برأسي!••

وتستمرّ الفوضى

وما زالتِ النملةُ تسيرُ إلى الطرف الآخر من

القشة!••

مهرجانُ الملائكة

إنك أكبرُ من مهرجانٍ للملائكة

وجهك انعكاسٌ لصحوةِ الفجر من نعاسهْ

وعيناك اقتباسٌ يختصرُ شرحَ

ما يحدثُ الآنَ في أقصى الأرض!..

وحينَ لا أجدُ دفئاً يناسبُ حجمَ جسدِي

ولا أرى ضوءً كافياً

ليظهرَ ظلي بأناقتهِ الكاملة

أحتاجكِ؛ لأنّ النقصَ فِي الإنسانِ مخلوق

ونقصي زائدٌ جداً!

وبما أنك تبدئينَ بألِفٍ دائماً

فلا يُعَبَّرُ عنكِ سوى:

بالأجمل والأروع والأرقى

فأنتِ الأنسبُ لـجداً خاصتي

أكملِيني بدفءٍ وضوءٍ ورؤيا

وكافةِ مظاهر الحياة!••

facebook.com/the.Boooks

ومن الغريبِ أنّ علاقتكِ عكسيةٌ تماماً

بالأشياء

فحينَ تظهرينَ تختفي معالمُ الظهور حولكِ

وحينَ تنطقينَ تصمتُ الأصوات

وحينَ ترتدين العلوّ

تنخفضُ معدلاتُ النبضْ!..

ولأنكِ الأعظم

فليسَ من اللائقِ تفسيرُ ذاتِ العلاقةِ

facebook.com/the.Boooks

بأنكِ تصمتينَ إذا نطقَ الصوت

لكنّ ما يناسبُ مقامكِ هوَ أنّ الأصواتَ

تعلو

حينَ تشعرُ بسموّ هدوئكْ

والظهورُ يمارسُ طبيعتهُ بعدَ أنْ يطمئنّ

من تلاشي تهديد ظهوركِ عليه!٠٠

يا امرأةَ العقل

إذ إنكِ لستِ عاطفةً فقط

ولا فكرةً فقط

بل قرارٌ يوافقُ عليهِ الطرفان في جسدي

وأنتِ أنثى

بَهْوٌ فخمٌ يمتدّ من فكرتي إلى حيّز التنفيذ

ومنالٌ عميقٌ جداً

حيثُ يَصْعُبُ العثورُ عليكِ

فالخارطةُ تشيرُ إليكِ بلغزٍ مستحيل!..

وأنتِ أنثى أيضاً

فإضافتكِ إلى غيركِ تعني الكمالْ

وإضافتكِ إلى نفسكِ

تفسّرُ الغيبَ الذي وضعهُ اللهُ بكْ!..

وأنتِ أنثى

مجردةٌ منَ الوصفِ المكرّر

مجردةٌ منَ الأشياءِ إلا أنتِ

وتعلمينَ جيداً أنكِ تَشْغلينَ مساحةً

لا بأسَ بها في تفكيري

facebook.com/the.Boooks

إذ ما يتبقى من مُجمل المساحةِ

رقمٌ تتجاهلهُ الوقائعُ لضآلته

وانعدام تأثيره!..

وأنتِ أنثى

تلكَ الأنثى التي أصابتْ وقتي بالحمى

فيظلّ ساخناً للأبد

وأظلّ محترقاً لفكرةِ التقرّب منكِ أكثر

فأنا لا أملكُ ما يؤهلني لخوض منافسةٍ

عليكِ

ولا أملكُ استعداداً للهزيمةِ أيضاً

وسأكونُ مُلازماً لخطةِ صمتٍ

طويلةِ المدى!..

إنك أكبرُ من مهرجانٍ للملائكة

أكبرُ من سماءِ كتابتي

وليستْ لديّ خطةٌ بديلةٌ

لأحتالَ على عجزي!..

إنك أنثى طالما ابتعدتُ عنها

لخوفي الشديدِ من الخطأ معها

ولتلعثمي المملّ معها

ولحديثٍ لا أعلمُ أينَ يذهبُ إذا حَضَرَتْ

وأتعجّبُ من شعورِ لساني المتنملّ حينَ

أسمعها!..

يا امرأةَ المعجزات

أريدُ أن أضمّك بشكلٍ يجعلنا واحداً

وأنْ ألْتحِفَ شعركِ باستنشاقٍ بطيءٍ لرائحته

أريدُ جداً أنْ أقبّلَ كفيكِ

لا؛ أريدُ أنْ أتأملك كثيراً

واضعاً وجنتيّ على كلتا يديّ

مستلقياً أمامك كطفلٍ

ذُهِلَ من لعبةٍ تكبرُ سِنّهُ آلافَ المرات!··

وليسَ لي منَ الأمرِ شيء

وإلا لكنتُ اتخذتكِ ملجأً

ألجأُ إليهِ كلّ ليلة

ولسمعتُ صوتكِ كلّ يومْ

ولطلبتكِ تكرارَ ضحكتكِ المبهرة

ولاتكأتُ على وسادتي

وتحدثتُ بهيامٍ عن جمالكْ

وعنْ دقةِ تصويركْ

ولسألتكِ ببراءةِ المندهش:

هلْ هناكَ منْ هيَ مثلكْ..؟

هلْ تأكلينَ مثلنا..؟

هلْ تشعرينَ بالنعاس..؟

هلْ يُدْركُكِ الخوفُ كما نخافْ..؟

وفجأةً أنهي أسئلتي:

هلْ أنتِ حقاً بشرْ..؟

لو خلقَ اللهُ في جمالك أنثى أخرى

لأصبحت الأرضُ ثقيلةً

وما استفاقتْ من غيبوبتها أبداً!··

اسْتَيقَظَ بغضب!••

لا تلمسوا جرحي باللهِ عليكم

لا تضعوا أناملكم عليه

البكاءُ الآنَ علاجٌ مؤقت

والغضبُ لا يزورني كثيراً

أريدُ تحطيمَ غرفتي

وتحطيمَ المرآة

وأرى جزءً بسيطاً من وجهي بعدَ تحطيمها

أريدُ كوباً ساخناً جداً

كوباً يغلي بماءٍ أو بليمونٍ صافٍ:

أنْ أسكبهُ على رأسي

أن يتفسّخَ هذا الرجلُ الذي لا تريدونهُ بي

أنْ أصبحُ مشوّهاً حتى ترضوا

أو أعمى حتى لا أراكم!..

أمي؛ ولا أستطيعُ البكاءَ على صدركْ

لا أستطيعُ لمسكِ فتُفجعي

وتصرخي هاربةً مني:

هذا ليسَ ولدي

هذا ليسَ ولدي!..

الآنَ في حُجرتي الخاوية جداً:

إلا من حزني؛ إلا من وجعي

إلا من كبرياءٍ حاكتهُ السنين

وقلقاً ارتديتهُ على شرفِ الغد

وتساؤلٌ يخنقني:

لن أذهبَ عنكَ؛ أتسمعني٠٠؟

آهِ يا أمي

أفقدُ أباً لا يفقدني

وأفقدُ نفسي كلما قرؤوني

كلما كتبتُ حرفاً

تقلّصَ الجدارُ الذي بيني وبينهم

حتى يُصبحَ شفافاً

وأصبحَ مرئياً!٠٠

لا تلمسوا وجعي باللهِ عليكم

لا أريدُ أنْ أعتادَ عليكم

وتعتادوا علي

قولوا إني شيءٌ مؤقت

رجلٌ وقتيٌ فقط

بخارٌ ساخنٌ سيتلاشى!..

مَن قالَ إنّ القهوةَ مُرّة

القهوةُ أنا

facebook.com/the.Boooks

أنا الفناجينُ المكسورة

الأكوابُ الصدئة

الفناجينُ المشروخة

المرايا المتسخة

أنا طريقٌ هائلٌ يمرّ بهِ الحزن

تسيرُ بهِ وحولُ البشريّةِ منذ ألف عام

وهجراتُ الطيور التي لا تعود

واستيطانُ البشر الذي لا يستمرّ!..

لا تلمسوا جرحي سألتكم بالله

الكلماتُ لم تعُد كلماتٍ الآن

الفرحُ أكبرُ الأوهامِ التي اصطنعها البشر

الحزنُ يُقهقهُ في جسدي

أنا النايُ الذي يُعزفُ كلّ ليل

الدمعةُ التي لا تُفارقُ أحداً

الفرحُ هوَ حزنٌ خفيف

حزنٌ يتحملهُ القلبُ فيظنهُ سعادة

الفرحُ يجعلُ المرءَ باكياً

هذهِ هيَ حنكتي

هذا دهائي:

أنْ أستوطنكم كدمعةٍ في كلّ الأحوال

أنا أستفرغكم الآن

الآنَ تخرجونَ مني

الآنَ تعبرونَ الحنجرة

كما دخلتم من جوفِ أذني

وتخبرون الناسَ أجمعينَ بما سمعتم

وما رأيتم في الداخل!..

لا تلمسوا وجعي

أريدُ أن أبكي

أنا البكاءُ الذي يبكي

أنا الحزنُ الذي يحزن

الفرحُ الذي ينزف

سأستنزفكم ولا أقنع

وأشربُ منكم ولا أقنع

وآكلُ من جسدكم ولا أقنع

وأراقبكم وأعرفُ كلّ شيءٍ

ولا أقنع

أنا الأقنعةُ التي تختبئونُ خلفها

سأصبحُ شفافاً وأفضحكم

ومرئياً فأسلبكم هويّةَ الاختفاء

لا تلمسوا وجعي

أنا الحُزنُ في ظهورهِ البشريّ الأول!..

لا تلمسوا وجَعي أسألكم بالله

سآخذُ حصتي منكم وأمضي

لن أسبّبَ ألماً

ولن أتركَ نُدباً

ولن أصنعَ دهشةً أيضاً

هكذا حصةٌ بسيطةٌ لا تنتبهوا لها

قضمةً أو اثنتينِ من قلوبكم

أتركككم بعدها تنزفونَ ببطء

تموتونَ ببطء!..

مَن لمسَ منكم وجعي..؟

من أيقظَ الأخطبوطَ الهائلَ بي

من فتحَ منكم بابي الصامت

وجعلَ الوحوشَ تخرج

والعفاريتَ تضحك وتقفز

والعنقاءَ تطيرُ فتحجبُ الشمسَ عنكم

وتملأ الدنيا ظلاماً!٠٠

مَن منكم أيقظني من سباتي العميق٠٠؟

أنا أستوطنُ في كهفٍ عظيم

كهفٌ يسكنُ فيكم

وأنتم أحييتم بدعتي الآن

مارستم طقوسكم

وأحييتم جراحكم فحييت!٠٠

مَن هذا الذي تواقحَ فأزعجني

لماذا وأنا نائمٌ كطفل

وأتنفسُ خلالَ نومي كحوتٍ

يملأ البحرَ صوتاً

ولا تهابهُ الأسماك

يملأ المحيطاتِ رُعباً

ولا تهابهُ الأسماك

أنا العبورُ بعدَ الموت

الحكايةُ قبلَ الموت

facebook.com/the.Boooks

المرضُ الذي لا شفاءَ منه

لماذا أيقظتم وجعي··؟

سأشربُ البحرَ وأترككُم عطشى

وأشربُ الأنهارَ وأترككُم تغرقونَ في الجفاف

ولماذا نظرةُ الاستغرابِ هذه

الحبرُ الذي أنفثهُ ليسَ للصيد

الحبرُ الذي أنفثهُ هوَ لتناموا

لتأخذوا غفوتكمُ الأخيرة

أنا سيّدُ الأحجار

قلبي قطعةٌ نفيسةٌ من منجمٍ غائر

مسروقٌ أنا منَ الزمن

أشكو من سطوةِ البحرِ المملّح

البحرُ سائغٌ للشراب:

لكني بكيتُ عليهِ يوماً فتأجّجْ

لماذا تلمسوا وجعاً هائلاً

لماذا توقظونه..؟

كنتُ أمشي بفُوّهةٍ في وجهي

واتسَعَتْ حتى أصبحتْ فجوةً كاملة

أمشي بأطرافٍ شفافة

تعبرونَ من خلالي

كما يعبرُ الحزنُ من خلالي

والخوفُ من خلالي

وصوتُ الشامتينَ من خلالي

وصوتُ الرّعاةِ المساكينِ من خلالي

facebook.com/the.Boooks

وصوتُ أبي الذي لم أسمعهُ منذ زمن

وصوتُ أمي وهيَ تخبزُ ليَ الكعكَ وتضحك

وأخي الذي أودعتهُ في البئرِ وردمتها عليه

وأختي؛ والتي تراءتْ لي في حلمٍ ما:

سأقتلكَ كما حملتني إلى السماءِ وتركتني

وجدّي ذو الظهر الأحدبِ الذي يركضُ

ورائي بأسى

وجدتي – لا – لم أرَ جدتي قطّ في حياتي

ولم تعبُر من خلالي!..

ولستُ سعيداً أبداً

وهذا ليسَ كلاماً أدبياً لأكتبه

أنا لستُ سعيداً كما تدّعون

السرّ الذي حاولتُم إفشاءَهُ ونجحتم:

أنني لستُ سعيداً أبداً!..

أيقظتمْ داخلي الكلمات

أشعلتُم حطبَ الفتنةِ بي

تمايلتُم

وتراقصتُم

وركضتُم

بشكلٍ

دائريٍ

حولَ

حُزني!..

تباً لكم فاتركوني

أنا غيابٌ لنْ يغيب

سأنتقمُ من صوتي

ومنْ عينيّ

ومن شفتيّ

ومنْ رئتيّ

ومن يديّ

وقدميّ

وقلبي!••

سأشوّهني لتموتوا

وأقتلعُ عينيّ لتعموا

وأخِيطُ شفتيّ فتصمتوا

الآنَ فاخرجوا مني كما دخلتم

مَنْ سمحَ لكم بالعبورِ بي

مَنْ أعطاكم حقّ اللجوءِ إليّ

أنا لا أكتبكم؛ فلا تكتبوني

تتهامسونَ عليّ برسائلكم

facebook.com/the.Boooks

تكتبونَ عني بجرائدكم؛

أني أنا الذي ظهرَ فجأة

وبدأ يبتلعُ الأراضي

والأراضي والأراضي!..

الآنَ أقولُ لكم اخرجوا

هذهِ البسيطةُ لي

لا تمشوا عليها

ولا يحملنّ أحدٌ منكم قبره

ستموتونَ هكذا

في هواءٍ يرفعُكم إلى الأعلى

وسأكتمُ نفَسي حتى ترتفعوا

ثمّ أشهقُ ولا ترجعوا

الأرضُ لي!..

تباً لعجرفتكم

كنتُ نائماً

كنتُ أتثاءَبُ قبلَ الجليد

وأفرغُ من تثاؤبي

بعدَ أنْ يموتَ أحفادكم!··

لماذا أيقظتُم وجَعي

الآنَ أئنُّ وتنزعجون

وأتألمُ فتهتزّ الأرض

وتخرجونَ ركضاً كنمل

تتقافزونَ كجراد

وتهرعونَ ولا مفرّ!··

وأفقتُ على أصواتكم

وحشرجاتِ استهزاءاتكم

كنتمُ تسخرونَ من نومي

كيفَ أني جثةٌ تتنفس

وتهزؤونَ من نومي

كيفَ أحضنُ جبلاً

وتهزؤونَ لأنهُ لا أمّ لي:

فتُبعدكُم عني وتخافونَ منها

ولا أبَ يتركُني نائماً حتى يكتبَ وصيّته

الآنَ كطفلٍ منزعجٍ من تُرّهاتكم سأكون

سأركضُ عشوائياً وأحطمكم

لماذا أيقظتم حُزني..؟

وإني أستفرغكم

ولا أعبأ برائحةِ الموتِ بينكم

سيكونُ موت

ويكونُ دم

ويكونُ خوف

ويكونُ قتل

ويكونُ صبر

ويكونُ رُعب

ويكونُ ليلٌ ولا نهارَ بعدي

وأكونُ أنا؛ أما أنتم فلا!..

وستهربون كما هربتم خوفاً ذاتَ ليلةٍ

عندما تقلّبتُ في نومي

وكادت أن تميلَ بكمُ الأرض

وخشيتُم أن أستيقظ فتموتوا

والآنَ صحوتُ فموتوا

أو ارتعبوا كما أرعبتُم حلمي

كما جاءَ أحدُكم بجسرٍ حديديٍ:

ليدغدغَ أذني!..

وستهربون

لا لأنكم ستموتون

بل لأنكم لا تريدونَ أنْ تسكنوا داخلي

أن تتنفسوا ما حملتهُ عنكم عُمراً

كذبكم

وافتراءاتكم

وجهلكم

وتجاهلكم

وآباءكم الذينَ حذروكم مني:

لا تُوقظوا حُزنهُ فيئنّ!..

والآنَ أنا سأئنّ فانزعجوا

يكفي بأَنّةٍ واحدةٍ تسري في الأرضِ خمسينَ ليلة

وبأَنّةٍ ثانيةٍ تُصيبكم بالصمم ولن أتحدّثَ بعدها

فصوتي ضوءٌ لامع

صوتي هذا الضوء الذي نقّبتم عنهُ ولم تجدوه

صوتي هوَ البحّةُ التي أخفتها الأرضُ عنكم

لو امتلكتموهُ لملكتموني

لفتحتم قارةً سابعةً في القمر

وفتحتم طريقاً يُؤدي إلى أسفلِ الأرض

لتعرفوا وجهي!..

سأخرجُ كما أيقظتم حُزني

سأخرجُ شفافاً أبتلعُ ما أجدهُ لديكم

فتجوعوا ولا تموتوا

سأتركُ لكم بقايا أظافري

وبقايا جلدي المتفسّخ

وفي كلّ بقعةٍ في الأرضِ سترونَ آثاري

لنْ أزولَ عنكم

كما لم تزولوا عن نومي!..

أنا الهدايا التي كنتم تفرحونَ بها

والحزنُ الذي كنتم تبكونُ فيه

والألمُ الذي يزورُ أحدكم

فيهرعُ إلى الطبيب

الآنَ خذوا كلّ مُخدّرٍ في الأرضِ

ولن أزول

وخذوا كلّ ابتسامةٍ في الأرضِ

ولن أزول

وخذوا كلّ أسبابِ الأرضِ

ولنْ أزول!..

اخرجوا كما أتيتم

كما أيقظتموني

كما توهّمتم أنني سعيدٌ

فأفشيتم سرّي!..

وهذا ليسَ كلاماً أدبياً لأكتبه

أنا لستُ سعيداً كما تدّعون

السرّ الذي حاولتُم إفشاءَهُ ونجحتم:

أنني لستُ سعيداً أبداً!..

facebook.com/the.Boooks

حديثُ المرء!٠٠

وإني في الهوى مجنونُ ليلى وفي حِلمي يُعلّمني ابنُ قيسِ

وَجُدْتُ بما لديّ وليسَ فخراً وهذا الفخرُ في الدنيا حبيسي!٠٠

صعَدْتُ بمنطقي للنجمِ حتى تخيّلَ أنهُ يغدو جليسي

وما واللهِ مفخرةً بنفسي لديكِ تواضعي؛ والآنَ قِيسي

نطقتُ تواضعاً؛ وصَمَتُّ عِلماً وما لمنافقٍ

يَحمو وطيسي

حديثُ المرءِ ألماسٌ نفيسٌ ولستُ لأحمقٍ

أُعطي نفيسي!..

يعشقُ وجهَ قاتلهِ القتيل

أينَ أنتِ••؟

أسقيتني الهجرانَ من بعد الوفاء

أبقيتِ لي يأساً تكبلني يداهْ

أطفأتِ شمعتنا

وأضرمتِ الجفاء!••

ما كانَ لي في الأمر شيء

فأنا فقيرٌ

كانَ يطمعُ في ثراءِ أنوثتكْ

ركضاً وراءَ حنانكِ المختالِ

ركضاً حولَ سورِ خطيئتكْ

ركضاً تعبتُ

وقد هُزمتُ

وقد ظمئتُ

وما تأثرَ فيكِ قلبٌ

أيّ قلبٍ٠٠؟

إنّ داخلكِ الخواء!

يا أولَ التاريخِ

إذ أنتِ المؤرخُ للشقاء

بادرتِني بالهجرِ

ثمّ سكبتِ من سمّ التجاهل ما سكبتِ

تركتِني طفلاً:

يُصارعُ من براءتهِ الشتاء!..

لو كانَ لي ركنٌ

لزاولتُ انزوائي عنكِ

يا حلماً تبعثرَ

أنتِ يا حلماً يُقيّدني إليهْ

ولا تبارحني الهوائلُ من يَديهْ!..

كم لبثتُ الآنَ في كهفِ انتظاري

زدتُ فوقَ العمر عمراً

كي أضمكِ

هارباً مني ومنكِ

فلا تلوميني

إذا أخشى عليكْ

ولا تظني بي سوءً

إنْ أويتُ إلى يديكْ

فلا مفرّ الآنَ منكِ

سوى إليكْ!..

أمضيتُ فيكِ العمرَ نشواناً ضليلْ

ما كنتُ أعرفُ أن نسياني

لحبكِ مستحيل!..

وأنا أكررُ فيكِ مأساتي

كقصةِ غيمةٍ عادت:

لنهرٍ آسنٍ حتى يسيل!..

كم كرهتكِ

كم عشقتكِ

كم أنا بكِ مغرمٌ

تباً؛ ويعشقُ وجهَ قاتلهِ القتيل!..

facebook.com/the.Boooks

أجمل الثقلين

يُقاتِلُني عليكِ الوقتُ حتى توقَّفَ مِنْ

شراسَتِهِ زماني

فلا عُمري تَقدّمَ أيّ يومٍ ولا هوَ مُوقِفٌ أبداً

طِعاني!..

ولستُ بأعزلٍ لأخافَ شيئاً وما قلبي

ضعيفٌ كي أعاني

ورثتُ عن السموألِ بعضَ شِعري وديكُ

الجنّ ألْقَمَني المعاني!..

إذا ما جئتُ أنطقُ أيّ شيءٍ حروفي بالبلاغةِ

تُرْجُمَاني

وشِعري في الطبيعةِ ذاعَ حتى تُردّدُهُ جبالُ

القيروانِ

تنازلَ خافقي عن كلّ شيءٍ سوى الأمجاد

كانَ بها أناني!..

فإنْ يَكْبُو على أرضٍ حصانٌ فلنْ يَكْبُو على

أرضٍ حصاني

وما فخراً إذا ما كنتُ شَهْمَاً وجدّي سيفُ ذي

يزنِ اليماني

رميتُ بمقتلٍ من رامَ عذلاً وما واللهِ يَقدرُ إنْ

رماني

ولاسمي المجدُ؛ لا للمجدِ إسمي إذا ما

المجدُ جزءٌ من بناني!..

إذا التاريخُ يَعقلُ ما سَيَرْوي لكانَ بدهشةٍ

زمناً رواني

ويَضمنُ أنّ غيري سوف يَخْبُو سوايَ؛

لسَوْفَ يُرهقهُ ضماني

رفعْتُ بمنطقي قوماً وقوماً وما هُمْ رافِعوا

بالشأنِ شاني!٠٠

وأمي قد دعَتْ في الليلِ رَبّاً أجابَ دعاءَها

حتى حماني

فَسِرَّاً يمدحوا بالشِعرِ قَتْلي ويرتعبونَ إنْ

سمعوا بياني

وعني أخبروا العذالَ قولي وما التحذيرُ

تُشبهُ التهاني

إذا ما المكرُ أنجاكُمْ زماناً فما بالمكرِ تنجوا من

لساني

ومنكم مَنْ رآني في هدوءٍ وفي غضبي؛ أَمِنْكُمْ

من رآني..؟

سأخبرُكُمْ: أنا في خيرِ حالٍ فموتوا؛ لنْ ترَوا

أبداً هواني

سأحيا في نعيمٍ ما حييتم وحتى تحسبوني مثلَ

جانِ!••

وأنثى من نعيمِ الأرضِ جاءتْ ومنها صرتُ

مَسلوبَ الكيانِ

أتتني في الدُّجى تمشي ببُطءٍ وكانَ الموتُ

أسرعَ ما أتاني

أتتني في ظلامِ الليلِ حتى :أضاءَتْ من

مَلاحَتِهَا مكاني!••

لها عينٌ تُطيحُ بكليوباترا وتُزهقُ أنفُسَ الغُنجِ

الحسانِ

وبسْمةُ ثغرها إكسيرُ سِحرٍ خسرْتُ لثغرها

حالاً رهاني

تُشيرُ لنجمةٍ بالأفْقِ لاحت فيُطفئُ ضوءَها

ضوءُ البنانِ!..

إذا سارَتْ يصيرُ الرملُ ماساً كأنّ حذاءها

صُنْعُ الجُمانِ

facebook.com/the.Boooks

لها أثرٌ بخطوتها عظيمٌ تُقبّلُ خَطْوَها كلّ

الغواني!٠٠

ووَجْنتها إذا ما شِئتَ وصفاً بمُختصرٍ:

كزهرةِ أقحوانِ

وإنْ همَسَتْ رأيتَ الليلَ يُصغي كأنّ حروفها

وترُ الكمانِ

مُدامةٌ قولها تُنشيكَ حتى :يَمُرّ العُمرُ تحسبهُ

ثواني

وخصرٌ من دقيقِ العُودِ يبدو :ثقيلَ الردفِ تَحْسَبُهُ قَناني

وخصلةُ شعرها كالليلِ؛ كلا ظلامُ الليلِ في الخصلاتِ فانِ

وتلبسُ منْ حريرٍ لا يُسمّى وتسمعُ عنهُ في وصفِ الجِنانِ!..

وما ذهبٌ عليها أو حلايا وإنْ كانا؛ هُما يتنافسانِ!..

ألا واللهِ من يَنظرْ إليها ليَحْسَبُ أنّ مِنْ خَبَلٍ

يُعاني

ولا عينيهِ صَدّقَ إن رآها وأقسمَ أنها بعضُ

الأماني

هيَ الأولى على الثقلينِ حُسناً وما بزمانها في

الحُسنِ ثاني!..

يا زوجة الكلمات

تتثائبينَ من الحياةِ

وليسَ من هذا النعاسْ

وتركلينَ برقةٍ هذا الفِراش

وتُسقطينَ من العلوّ:

أناملَ القدم المرصّعِ بالكسلْ

تتثاقلينَ على البلاط

وبكلّ ما أوتيتِ من غنجٍ يسيرُ على اثنتين

تداعبينَ الأرضَ

-يلمسُ باطنُ القدمِ الشهيّ برودتهْ-

وإلى سحَابٍ من حديدٍ تذهبين

وتبللينَ بلا تردد كلّ ما يبدو من الأعلى

ابتداءً من ظلام الرأسِ

حتى أخمصِ الجيد المثيرْ

وبلا شعورٍ تصنعينَ من الجمادِ

حكايةَ الفرو الشفيف

facebook.com/the.Boooks

وتفركينَ

-إذا اشتهيتِ-

فِي هدوءٍ بشرتكْ

وينهمرُ النعاسُ بدمعةٍ

وكأنهُ قد فرّ من عينٍ

إلى خدٍ

إلى عنقٍ

إلى صدرٍ يُراوغُ ظبيتينِ من اللآلىء

تَخرجينَ من الغروبِ المستقرِ

إلى شروقٍ راودَتْهُ يدُ تُحركُ ضَعْفهُ

وإلى شروقٍ لا يُرى

لكنهُ حِسٌ خفيفٌ سوفَ يطفو

-إن أردتِ أنتِ ذلكَ-

تحتَ شلالٍ من الماءِ الذي يبدو قطيعاً ثائراً

يجري بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ

وتُدخلينَ من الهواءِ إذا انتشيتِ

شهقتينِ تدلّ على ابتهاجكِ

تمسحينَ على نعاسكِ مرةً أو مرتينِ

على حريرٍ مُحكمِ التكوينِ

مُكتملِ الضرورةِ

حائرٍ بينَ احمرارٍ أبيضٍ

أو بينَ أبيضَ قد يشاغبهُ احمرارٌ غيرُ دائمْ!..

وتراودينَ الحلم

يا امرأةَ الخيالْ

facebook.com/the.Boooks

يا زوجةَ الكلماتِ

ويا ابنةَ السطرِ البسيطِ

بآخرِ دفترٍ

كُتِبَتْ عليهِ ملاحظة:

إنّ اللهَ..... أبدعْ

وبذاتِ دغدغةِ الخُطى الأولى

على هذا البلاطِ تُراجعينَ الحلمْ

وتأخذينَ – تَمَلْمُلاً – قطعاً بلاستيكيةً نُثرت

على أشكالها وُضعَت نجومٌ

شوهدتْ قبلاً بآلاتِ المصانعِ كاملةْ

والآنَ تلمعُ تحتَ هذا الضوءِ

تلمعُ تحتَ عشواءِ انتظام الليلِ

تلمعُ في الهواءِ وفي السريرِ

وفي ظباءٍ فوقَ صدركِ نافرة!..

وتُمسكينَ بصفّ جندٍ واقفٍ

وتكتبينَ على خصال الشَعرِ قافية الحريرِ

تسيرُ إلى الوراءِ

إلى الأمامِ

إلى الوراءِ

إلى الأمامِ

وهكذا

حتى يصيرَ الشَعرُ مُنتظماً

كأبياتِ القصيدة!..

وتلبسينَ لهذا اليومِ أزرقَ مائلاً للصحو

وتُبهَرِينَ إذا لمحتِ على الجدارِ

خيالَ أنثى !••

وتتمتمينَ:

ولم يمسسني بشرٌ ولم أكُ بغياً

وببحةِ الكلماتِ في صوتٍ لذيذ

تغني لحنَ أغنيةٍ

من العهدِ القديمِ أو الجديدِ

-لأنّ حسنكِ منذ بدءِ الخلق موجودٌ-

ولأنّ صوتكِ منذ هذا الوقتِ مبتدِئٌ

ومبتدَأٌ؛ ولم يصر خبراً بعد

لم يُحكَ إلى أحدٍ

وترفضينَ الساعةَ الذهبيةَ

عقد اللؤلؤ الأخاذِ

قرطاً من زمرد

خاتماً أيضاً

وترفضينَ جميعَ أدواتِ التجملِ

كيفَ يحتاجُ الجمالُ إلى جمالٍ آخرٍ٠٠؟

لا البحرُ يخطبُ غيمةً ليدومَ ماءٌ

أو زهورٌ زُوجتْ نحلاً

لتنجبَ قطرةً أو قطرتين من العسلْ!٠٠

-كيفَ يحتاجُ الجمالُ إلى جمالٍ آخرٍ-

ها أنتِ كالسهمِ الذي:

لا يخطئُ الهدفَ البسيط

ها أنتِ تنتقلينَ إلى الحياةِ

من الحياةِ من النعاسْ

ها أنتِ ذا قمرٌ يُمدّدُ ساعديهِ تأهباً ليضيء

شمسٌ تَزمّ لمعصميها الصبح

تعجنُ الفجرَ المبللَ بالندى

تغمسُ كبرياءَ الليلِ

تشربُ لؤلؤاً قد ذِيبَ في ماءٍ

فتضحكُ وردةٌ أو وردتان

ها أنتِ أجملُ من مسار اللونِ

أجملُ من مضاجعةِ النجومِ معَ القمر

كي ينجبوا ليلاً ضروريّ الكمال!٠٠

ها أنتِ أنثى؛ أيّ أنثى تلكَ قادرةٌ على:

جَعلِ القرنفلِ نابتاً في ضلعِ صخرةْ٠٠؟

أيّ أنثى تلكَ

ممكنةٌ إلى حدّ المحالْ

أيّ أنثى تلكَ أنتِ

أيّ أنثى أنتِ إلا أنتِ

facebook.com/the.Boooks

يا امرأةَ الخيالْ

وزوجةَ الكلماتِ

ويا ابنةَ السطرِ البسيطِ

بآخرِ دفترٍ

كُتِبَتْ عليهِ ملاحظةْ:

إنّ اللهَ يا أنثايَ أبدعْ!

إلى أمي!٠٠

الدارُ دونكِ لا يُطاقُ هواؤها صارتْ خواءً

في مساءٍ مُعتمِ

وتغيّرَتْ حتى جَهِلْتُ وُصُوفَهَا وكأنني قد

قلتُ حالَ تلعثمي

هلْ غادرَ الشُعراءُ مِنْ مُترَدّمٍ٠٠؟ أمْ هَلْ

عرفتَ الدارَ بعدَ تَوَهُّمِ٠٠؟(١)

يا أمِّ قَدْ تَبْكِي الوِسَادَةُ أدْمُعَاً أمّا أنَا فَذَرَفْتُ

مِنْ عَيْنِي دَمِي!٠٠

هذا وأعلمُ أنّ تلكَ زيارةٌ لذوي القرابةِ؛ رغمَ هذا فاعلمي:

رغمَ المسافةِ واتصال حديثِنا في هاتفٍ حَمَلَ اشتياقي مِنْ فمي

لا زلتُ أُخفي الدمعَ حينَ حديثنا لا زلتُ أخفي عنكِ جُلّ تألُّمِي

لا زالت الأبوابُ يَصْدُرُ صوتُها :حُزناً لبُعدكِ في صَريرٍ أعجمي

يا أمِّ لو هذا اختبارُ حشاشتي تاللهِ كلّ

حشاشتي في مأتمِ!..

الدارُ إنْ علِمَتْ مجيئكِ في غدٍ لتَفتَّحَتْ

شُرُفاتُها بتَبَسُّمِ!..

أحبّ صوتكِ

أحبّ اسمي من شفتيكِ؛

كأنيقةٍ باريسيةٍ تحملُ مظلةً تحتَ مطر

خفيف..

كلما ناديتِني أصبحتُ قابلاً للطيران:

أرى كصقرٍ وأرتفعُ كنسرٍ

وأهبطُ كريشةٍ حالمة؛

وكلما نطقتِهِ ارتفعَتْ معدلاتُ البطالةِ في

جسدي

وأفقدُ حواسّي واحدةً تلو الأخرى!..

صوتكِ يقولهُ بنبرةٍ تلمعُ في الذاكرة؛

وكلما ناديتِني انشقّ جبلٌ

وبدأتُ أكفرُ بـافتح يا سمسم

وأتأكدُ من اسمي!..

أريدُ أنْ أقتربَ بأذني كثيراً

facebook.com/the.Boooks

عندَ شفتيكِ وانطقيهِ مرتين فقط

لأني أخشى أنْ أموتَ منَ الثالثة!··

أحبّ اسمي من شفتيكِ؛

كلما ناديتِني سبقَتْ صوتكِ إلى أذني فراشة

صوتكِ لا ينقلهُ الهواء··

صوتكِ محمولٌ على أجنحةِ الفراشاتِ

لذلكَ كلما شاهدتُ سرباً يطيرُ

في حقلِ قرنفلٍ عرفتُ أنكِ تتحدثين!··

كيفَ لصوتٍ كصوتكِ

أنْ يخرجَ إلى العالمِ دونَ جوقةٍ

وفرقةِ إنشادٍ كلما تحدّثتِ..؟

كيفَ لصوتٍ كصوتكِ

أنْ ينتعلَ أذني ويسير بها..؟

كيفَ لصوتٍ كصوتكِ

أنْ يحملَ البحّة التي حُرّمَتْ على غيره..؟

أنْ يطيرَ إلى أذني كلّ مرةٍ بتفاحةٍ تغويني..؟

كيفَ لصوتٍ كصوتكِ

أن يأتي كالطفل الذي يتسلق رأس أبيهِ النائم

فينقذهُ من نومٍ أحكم قبضتهُ عليه٠٠؟

كيفَ لصوتٍ كصوتكِ ألا يُضيء٠٠؟

صوتكِ القنديلُ الخفيفُ الذي يرتدي سماءَ

العيد؛

والشاطئ الذي يجلسُ أمامهُ عاشقان منذ

البارحة!٠٠

أحبّ صوتكِ؛ وحقلَ الياسمين

facebook.com/the.Boooks

الذي ينمو في رأسي كلما تحدّثتِ إليّ؛

أحبّ مراقبة شفتيكِ بعينيّ الجائعتين وقلبي المُغرم..

كلما تحدّثتِ:

هبطَ دلوٌ إلى يقظتي واغترفَ منها

حتى أشعرَ بالإغماءِ التدريجيّ؛

أحبّ الضبابَ الذي يحجب رؤيتي عن الأشياءِ

كلما وضعتُ رأسي على صدركِ وتحدّثتِ؛

facebook.com/the.Boooks

أحبّ القادمين من البعيد غفوتي وأشياءَ

أخرى!

أحبّ صوتكِ والنبرةَ التي تنطقينَ دلالاً بها

فتهبط مائدةٌ منَ السماء؛

أحبّ الحروفَ التي تختفي في صوتكِ

والحروفَ التي تتهادى أيضاً

والحروفَ التي تُجبرني على مدّ أصابعي

لألتقطها من شفتيكِ!..

صوتكِ؛ هذا المخلوقُ الوديعُ

facebook.com/the.Boooks

داخل حنجرةٍ أنثويةٍ راقية

هذا الذي يخرج بوقارٍ إلى أذنيّ فأخشع

هذا الناسكُ الهادئ في لسانكِ!..

أحبهُ لأنكِ في كلّ مرةٍ تتحدثينَ:

يُعفيني صوتكِ منَ الوعي..

يحملُ رفشاً ويحفرُ في ذاكرتي ويدفنُ كلّ

وجع!..

أحبّ صوتكِ؛

أحبّ اليمامة التي هبطت بالسلام على رأسي

والسنبلة التي فاجأت يديّ ونمَتْ فيهما!··

أحبّ صوتكِ؛ كيفَ لصوتٍ كهذا

أنْ يتسللَ من وتر كَمانٍ

وقصبةِ نايٍ؛ ومفاتيحِ بيانو··

ويستقرّ في حُنجرة··؟

صوتكِ هوَ الذاكرة التي تنتقلُ في نبرةٍ

راقية!··

عيناكِ

لو لمحتِ سجائري

وقطافةَ التدخينِ إذا فرغتُ

وبكاءَ أوردتي

وشيئاً من شراييني ينزُّ دماً

وذاكرةً وبعضاً من شرودِ الفكرِ

لاتسعت هنا عيناكِ!..

عيناكِ تلكَ الحلمُ؛ تلكَ الأمنياتُ

تلكَ اللتانِ إذا استويتُ على فراشي

رحتُ أقطفها من الذكرى؛ من التفكيرِ؛ من

وجعي

يا عيناكِ؛ فلتضعي لهاويتي صعود!··

كحرفةِ أخيليس في طروادةِ الشيطانِ

كبائعةٍ برائحةِ العبيرِ

حذاؤها شيءٌ من الألمِ

انتفاضتها بصلبِ البردِ كقطةِ الأمراءِ

داخلها شعورٌ ما يُزلزلها

كنصلٍ جارحٍ

كبيانِ حربٍ من سلاطينِ الحروبِ

كقصةِ عنترٍ كانت هيَ العينان!٠٠

تلكَ الأمةُ الأولى التي وُضِعتْ على وجهِ البسيطة

تلكَ الرعشةُ الأولى بجلدِ الأرض

تلكَ النظرةُ التي هبطت بآدمَ من خطيئتهِ

إلى وحلٍ يُكررُ فيهِ مأساةَ الذنوبْ

كشهرزادِ الحب

أسطورةٌ ما كنتُ أنساها

أكررها بذاكرتي

أقلبها كمطحنةٍ تجيءُ بكهرباءٍ كي تغذي القلب!..

عيناكِ تلكَ القصةُ الأولى التي كُتبتْ من الأدباءِ

فلسفةُ الضميرِ

facebook.com/the.Boooks

سرّ الروح يا أنثى الحضارة!..

يا امرأةً تمشطُ فكرتي

تُجدّلها كنهرٍ بينَ أغصانِ النهارِ

تمرّ بأصبعينِ هما اللذانِ إذا احترقتُ

تزيدني لهباً

أصبعانِ فقط؛ تختصرُ العلاقةَ بينَ كونِ اللهِ

والدنيا السحيقةِ!..

تنتزعُ البرودَ إذا تحطمتِ الأماني

facebook.com/the.Boooks

تعيدُ بناءَ أرجلنا على الطرقاتِ

واقفاً قد كنتُ

حركني الهدوءُ بنظرةٍ من تلكما العينينِ!..

آهٍ منهما يا امرأةَ اللذائذِ

يا جنونَ الشِعرِ في شفتيّ

يا حرفاً يفيضُ عن احتياجاتي

يؤرقني كثيراً حينَ أنطقهُ

لا شكلَ لهُ إلا التشكلُ منهُ فيه!..

facebook.com/the.Boooks

عيناكِ أغنيةٌ أرتلها بصمتٍ؛ أقدسها

فهل رأيتِ الحبّ يمنعني عن الترتيل..؟

هل كانت هناكَ حضارةٌ ما كنتِ تخفينها

عليّ..؟

عيناكِ يا امرأتي هواءُ البحرِ عندَ أرصفةِ

اللقاءِ

ممرٌ ضيقٌ أجتازهُ ليلاً ليخطفني متاهْ

أهبطُ حينها وحياً لألقاها تدوّخني!..

يا أنتِ؛

لو يلْمحكِ صدعٌ من صدوعِ الأرضِ

لصار مثلَ الجسمِ ملتحماً

يا امرأةً على قدميكِ تتسعُ الطرق

تضيقُ أوردتي

يجيءُ الليلُ مثلَ الزائرِ الهمجيّ

يلعنني دوارُ الأرضِ لعناً لا شفاءَ لهُ

يا مهدَ الحضارةِ في بلادِ الشامِ

يا بلقيسَ قلبي

فِي وجهكِ الوضّاءُ تُغسلُ ضفتا حزني

تنسابُ أوردتي لتعجنها شعيراتُ الجبينْ

أوردتي نعاسُ البحرِ في عينيكِ

أوردتي هدوءُ الكون

لا شيءٌ يدور

لا الدنيا

ولا هذا السحاب

هذا السحابُ كشالكِ المختالِ في كتفيكِ

يلسعني بلمستكِ الشقية

يقذفني كتيارٍ إلى الأسفل

يجتاحني؛ يقضي على عقلي

يطيرُ كما الجرادِ في حقلِ أفكاري

يُعرّيها من الذكرى

ويقضمُ شُعلتي

تلكَ التي وقفت تنيرُ جوانبَ الإنسانِ فيّ!··

يا امرأتي

يا آخرَ الأكوان

يا نجمةً شردت من الدنيا

وأضحت بعدَ أعوامٍ مليكةَ عرشها

شعبٌ من الأقدارِ أنتِ

ابتهالاتُ الدعاء

بكاءُ صومعةٍ

نحيبُ الحبّ

رائحةٌ يُعلّقها خيالي

صعبٌ هوَ النسيانُ يا امرأتي

صعبٌ إذا ما كنتِ ذاكرتي!••

فلكٌ يدورُ بمعطفي

-قلبي الصغير-

جنباتهُ وحمٌ تكررُ نفسها

لو تنظرينَ إلى السماء

النجمُ محتفلٌ بها

عيناكِ يا امرأتي مواقيتٌ تؤرخني

تزلزلُ ما يدورُ بفكرتي

عيناكِ آخر ما تبقى من أباطرةِ العصور!••

يا امرأتي

وإنّ اللهَ إذ خلقَ الحياةَ

وبثها من ضلعِ آدمَ

كنتِ من ضلعي

من القلبِ البسيط

فبأبسط الذرّاتِ تخلقُ قوةٌ

وأنتِ ماهيتي

أنتِ خرافتي التي قُدّتْ

وآثرتِ البقاء

تبقينَ ذاكرتي

تبقينَ في كتبِ الدنُا

محيةً آثارَ من سبقوا هبوطكِ

نازلةً لوجهِ الأرض

كتعانقِ الأمطار والرملِ الفقير!٠٠

وآهِ يا عيناكِ

خطٌ تموّجهُ السنين

وبهِ أو فيهِ آخرتي

بداياتي؛ جنونُ حكايتي؛ ولعي

في عينكِ الأولى فضاءٌ واسعٌ

وبالأخرى أكون!..

آمنتُ أنّ اللهَ يخلقُ ثورتي فيها

أعلنتُ أنّ البحرَ

كلّ البحرِ مملكتي

ذاكَ الذي ما احتلهُ أحدٌ

أقسمتُ أنكِ حرفتي

فلكلّ إنسانٍ ضعيفٍ حرفةٌ

ولكلّ بحرٍ شاطئٌ يا شاطئي!..

يا زهرةً ما أبصرَتْ ألوانها

أنتِ الوريثُ لنبضتي

حينَ ارتديتكِ يا لباسَ براءتي

facebook.com/the.Boooks

فيِ زيّ راهبةٍ أراكِ؛ تتألقينَ بمهجتي

وكأنّ أنفاسي تمجدُ اختياري

تصطفّ في رئتي؛ وتخرجُ دفعةٌ أولى وتصرخُ:

مُجّدتِ يا امرأتي

وتلحقها تباعاً بعضُ أوردتي!••

يا امرأتي

أخبرتُ ربي أنكِ الأنثى الوحيدة

أنّ دورتيَ الصغيرةُ سوفَ تتبعها

facebook.com/the.Boooks

وأنّ دورتي الكبيرةُ سوفَ تعشقها

وأنّ سرّ الروحِ بي أنتِ

وإكسيرُ الحياةِ عيناكِ

وأنني يوماً قرأتُ بوجهكِ البدريّ مُنقلبي

قراءةً أولى وجدتكْ

وقراءةً أخرى فقدتكْ

وقراءةً أرجو بآخرها أني ملكتكْ!..

عتبي عليكِ!..

عتبي عليكِ؛ على الزمان؛ على الهوى إنْ

كنتِ حُلماً عابراً: فتحققي

أو كنتِ شمساً في ظلامِ متاهتي باللهِ فلتُنهي

الظلامَ وتُشرقي

ذهبَ الشبابُ معَ انتظاري بعدما مرّ البياضُ

بمقلتيّ ومفرقي

أبكي بكاءَ الشيخِ حينَ شعوره بالعجزِ يدفعهُ

لموتٍ مُحدقِ

ما كانَ يبكي في تذكّرهِ الدُنا إنْ راحَ عنها أو

عليها إنْ بقي

بل كانَ يبكي ذِكرَهُ لحبيبةٍ عمراً ترجّاها

اللقاءَ وما لقي

في لحظةٍ كانتْ كحبةِ خردلٍ في حجمها

مرَقَتْ كقطرةِ زئبقِ

لكنّ فيها الذكرياتِ بحارُها ضربَتْ دواخلهُ

بموجٍ مُغرقِ

تركتهُ قبلَ أوانهِ في سَكْرةٍ وكأنّ آلاماً بهِ

بتسابقِ

قسمَتْهُ نصفينِ يصارعُ شوقهُ نصفاً؛ ونصفاً

بالحياةِ معلقِ

في حينَ تمتمَ ثغرهُ بتثاقلٍ :في الحبّ كم من

هالكٍ أو أحمقِ

الحبّ أعمىً حينَ يُوقِفُ رَحْلَهُ في قلبِ شيخٍ

أو بقلبِ مراهقِ

في قلبِ أنثى إنْ أصابَ فؤادَها هلْ كانَ

يدخلهُ بشكلٍ لائقِ٠٠؟

هلْ كانَ يسألنا قبيلَ مجيئهِ٠٠؟ أمْ أنهُ يخطو

كخطْوِ السارقِ٠٠؟

في عُمقِ مِحرابٍ يجيءُ لعابدٍ مُتجاهلاً طُهرَ

العفيفِ المتقي

متحاذقاً يأتي إلى الحكماءِ أو متحاذقاً حتى

على المتحاذقِ!٠٠

لكنهُ بالرغمِ مما قلتهُ يُبقيكَ في فرحِ الهوى

المتلاحقِ

أو ربّما يُبقيكَ في تيهٍ كما طفلٍ ببحرٍ حائرٍ في

زورقِ

مجِدافهُ – عَرْضاً – كساقِ نعامةٍ والطولُ:

منقارٌ كما لِلّقْلَقِ

والشمسُ تتركهُ ببردٍ كلما غَرُبَتْ؛ وتحرقهُ

بوقتِ المشرقِ

عتْبي عليكِ؛ أما اكتفيتِ بحُرقتي٠٠؟ واللهِ

إني مُوجَعٌ فترفقي

واللهِ إنكِ لو علمتِ كآبتي حباً لربّ البيتِ

حالاً تُشفقي

هذا جزائي أنْ وهبتكِ بالهوى قلبي؛ وقلتُ

الآنَ فيهِ تعمّقي

السهلُ يَسْهُلُ للكثيرِ ضياعُهُ من أجلِ هذا

بالهوى لم تقلقي

لو كنتُ أعلمُ؛ كنتُ أصبحُ شاهقاً جبلاً

عظيماً؛ ثمّ قلتُ تسلقي

تتشبثينَ ببعضهِ كي تعلمي :إنْ كنتِ تنوي

اللهوَ فيهِ ستزلقي

ما حيلتي إنْ كنتُ خصماً للهوى في حينِ مَنْ

يُبصرْ عيونكِ يعشقِ!..

أحبَبْتُ فيكِ العينَ؛ في نظراتها أجدُ المثالَ على

الشموخِ الشاهقِ

أما ابتسامتكِ التي إنْ أُطلِقَتْ من فيكِ: خمرٌ

- يا إلهي - أطلقي

وبطيّها أيضاً جوابُ بليغةٍ للعاذلينَ؛

فزلزليهُم واحرقي

حتى السماءُ - لَمَنْ رأى - مرآتَها البَدْرُ وجهُ

حبيبتي المتألقِ

والخصْرُ تحسبُهُ اليباسُ تدققاً لكنهُ غصنٌ لِبانٍ

مُورقِ

لو أنها بالغنجِ فيهِ تمايلتْ لاستنطقَتْ من كلّ
ما لا ينطقِ

لما رأيتكِ؛ قلتُ حاشا؛ إنما جاوزتِ طينَ
الخلقِ حتى المُطلقِ

واستغفرَتْ شفتيّ دونَ شعورها وتراجَعَتْ
عن ما حواهُ تهرطُقي

لكنني واللهِ لستُ مبالغاً إني وُضِعتُ بنظرةٍ في
مأزقِ

كانتْ كحبةِ خردلٍ أجزاؤها مرَقَتْ

كساعاتِ اللقا للعاشقِ

منْ بعدِها تمتمتُ حقاً إنهُ في الحبّ كم من

هالكٍ أو أحمقِ!٠٠

تواضع الملائكة

الساعةُ تُلامِسُ النصفَ بعدَ الرابعةِ فجراً

وأنا أصارعُ جفافَ مُخيّلتي

وأضربُ بالنومِ عَرضَ الحائطِ معترضاً!..

أريدُ صحراءَ قاحلةً لأزرعها بكِ

وأبحثُ في الأرضِ عن بُقعةٍ مُلائمةٍ لذلك

وأجدُها مَملوءَةً جداً بثانوياتِ الحياة

فلا أجدُ بُداً من صحراءَ وحيدةٍ بي

فأضعكِ في قلبي وأمتلئُ بكْ!..

إنكِ إحدى أكثر معجزاتِ الكون تعقيداً

وأكثر الأكثر وضوحاً!..

ورغمَ أنكِ تُمثلينَ أدقّ التفاصيل

التي لم نسمع بها سابقاً

كهبوبِ الهواءِ من حنجرةٍ دافئة

والتقاء ما لم يلتقِ في عينيكِ

وطفولةِ ابتسامتكْ

وياقوتِ شفتيكِ

إلا أنكِ بتواضعِ الملائكةِ

تُمثلين البشر!··

كم من الوقتِ سيقاومُ حبكِ

صدأ الذاكرة··؟

إنهُ سؤالٌ أجهلُ إجابتهُ

بقدر إدراكي لكُنهه!··

وكثيراً ما أشعرُ بالشفقةِ عليّ

حين أفكرُ بما أريدهُ

وما لا أريدهُ معكِ

وحين أضعُ مائةَ خطٍ

-بأصابع من هواء-

تحتَ فكرةِ تقبيلكْ!··

وأرفضُ بشدةٍ فكرةَ ابتعادنا هذهْ

حيثُ لا أملكُ من هذا الأمر شيءْ!··

ماذا أفعلُ بمرضي هذا··؟

فلذةُ حمى اشتياقي لكِ

تجعلني أرفضُ بدائلَ العلاجِ منكِ

وفتراتِ النقاهةِ والنسيان

وأصرّ على تجذركِ بي

رغمَ أنكِ:

لا تستحقينَ جسداً مُضيفاً

فقيراً كهذا!..

وتستحقينَ قلباً

ينبضُ للمرةِ الأولى منذ خلقهِ لكِ

ودماً صافياً من شوائبِ الدنيا

وعقلاً لم يفكر إلا بحدوثكْ

ويداً لا تكتبُ إلا اسمكِ

ولساناً لا ينطقُ سواهْ

وشفاهاً رغمَ هذا

لا تعرف إلا لذةَ قبلتكْ!..

ليتَ هذا الليل يطولُ

facebook.com/the.Boooks

لأعتكفَ حبكِ أكثر

والأرضُ تتمددُ

لأمشطها بحثاً عن حلٍ يليقُ بكْ

فأنتِ الآنَ نائمةٌ

موقنةٌ بأنّ في الكونِ

مَن يضربُ أكبادَ السهر

امتناناً لجمالكْ

ويسحقُ رغبةَ النوم

ظناً منهُ أنّ السهرَ تفكيراً بكِ

سيجعلُ مرتبتهُ أكبر

ويُخرجَكِ من صمتِ الملائكة

إلى حروفٍ من ذهبٍ وعاجْ

تلقيها على مسامعي كلّ صباح

-أشتاقكَ-

لأخرّ حينها صريعَ فرحةٍ غادرتني

منذ اللحظةِ التي افتقدتُ فيها صوتكِ

ومنذ اللحظةِ التي أدركتُ فيها

أنني لا أستطيعُ التعبيرَ عن دهشتي بأنوثتكِ

إلا بكْ

حين قلتُ: يااااه؛ كمْ أنتِ أنثى!..

يا للهول؛ رحماكِ!..

لو تعلمي الآنَ ما في داخلي؛ اهتزّتْ عَجباً
يداكِ؛ وما حرّكتِهِ فاكِ

حتى ذهولكِ لو ما أنتِ صامدةً حتماً تراهُ
لباقي الدهرِ عيناكِ

سبحانَ مَنْ أعطاكِ ما لمْ يُعطِهِ أحدٌ سحراً
يُزلزلُ - يا للهولِ - رُحماكِ!..

العينُ عَدْنٌ وباقي الوجهِ فردوسٌ والشعرُ
ليلٌ؛ فما أسطيعُ رؤياكِ

لما رأيتكِ؛ قلتُ الآنَ أعلنهُ :عيداً على الناسِ؛

قد أتلفتِ إمساكي!••

لو علمت الأيام

لو علمتِ الأيام··

كيف أنّ الحزنَ مرثيةٌ صارت تتوشّح دماء القوافي

وأن الفرح تمثالٌ نصبَتْه الدموع في ساحات الكآبة

وأن السهر شرعٌ بات يحكم شعباً من الأعين

لثأرَتْ من الحب

وقامت بصلبه على بوابة الرجاء

ونبذته من ديانة البشرية

وشهَّرتْ به في صفحات الدجالين

وجعلت من حماقاته حديثاً

يتسلى به التائهون على أرصفة الوداع!..

لو علمت الأيام..

كيف يجتمع الضدان في قلبٍ واحد

لأيقنَتْ أن الحرمان

هو شخصٌ مارسَ العنصرية في قبائل الجهل

وعَلَّقَ سم الظلم على أوتاد خيام التخلف

واللامبالاة!..

لو علمتِ الأيام..

أن الأساطير قد تحققت

وباتت تُرَى على طرقات الضياع

لآمنتْ بأن السحر

هو نافذةٌ نرى بها عالماً آخر

وأن الشواطئ نهايةٌ لقصةٍ تكونتْ من الماء

وأن الغيوم قد أنجبتِ البحار!..

لو علمتِ الأيام..

أن القلم إنسانٌ أبكمٌ أخرس

لا يجدُ من يعبر عن مشاعره

وهو مجبرٌ على التعبير عن مشاعر الآخرين

جالَ بينَ سطورهم وخاضَ حروبَهم مُرغماً

وأسرَ الحروف تحت تهديد الفكرة

facebook.com/the.Boooks

ومدح النساءَ قسراً تحت مُسمى الغزل

وألّف الرسائل تحتَ أحكام الشوق

لأعطَتْه الحرية؛ وأنهت خدماته من عالم الأدباء

وعلَّقتْ على صدرهِ وساماً أبيضاً

لتغطّي بهِ جروح العالم السوداء!••

لو علمتِ الأيام••

بأنّ الشقاءَ مرجعٌ من مراجع الدنيا

facebook.com/the.Boooks

وأن العذاب أصبح أستاذاً يُدَرِّسُ لغات

القهر والخوف

وأن البؤس صار تلميذاً نجيباً

يطبقُ ما تعمله من مناهج الهلع في معتقل

الذكريات

لأنهتْ معاناة البشرية

في زمنٍ أطاح برأس البسمة

بعد أن أدانها باغتيال الأوهام!..

لو علمتِ الأيام..

أنني أمارسُ وصف المستحيلات

ورصدَ حروب السنين بين الذات والذات

وكتابة معلقاتٍ من ألمٍ في كل الأوقات

لحكمتْ على عذابي بالعذرية

عذاباً لن يلمسه أحد

ولن يتعذب به أحد

ولن يستطيع وصفهُ أحد

حتى أنا!••

كالشِّعر!••

لا العيدُ عيدُكَ؛ أو لا العيدُ ذا عيدي مُذ

أوقف الحُزنُ في الدنيا مواعيدي!••

فاضتْ لهُ العينُ؛ واستسقتْ مَدَامِعَها مَنْ

أخبرَ العينَ عن ويلاتِ تنهيدي••؟

قد مرّ ذا العُمرُ في حالٍ مُكرّرَةٍ حزنٌ تلا

حزناً إلى أنْ تمّ تشييدي!••

فانظرْ إليّ وقد أضحتْ ملامحهُ جزءً من

الوجهِ؛ لن تحتاجَ تأكيدي!••

مثلي كما الشِعرِ موزونٌ بقافيةٍ والحزنُ أتقنَ

بالموّال ترديدي!••

من نقّحَ اسمي لي٠٠؟

الساعةُ تشيرُ إلى السابعةِ وانتظار!٠٠

ورقةُ الجريدةِ الخامسةِ مُلوّنة

-هذا هو الفرقُ الوحيد الذي أراهُ في أخبار اليوم-

سأصفُ نفسي قليلاً:

لا خاتمُ بأصبعي ولا ساعةُ يدٍ مرصعة

وأكرهُ الأقلامَ التي نحملها

لأنها لا تستخدمُ حتى في وقتَ الضرورة

لذلكَ أحملُ ذاكرةً فقط!..

ثيابي بيضاءُ باستثناءِ ما يشوبُها من قلق

ساعةُ الحائطِ تبعثُ داخلي الشك:

-كم هي الساعةُ الآن..؟

-أسألُ شخصاً جانبي-

-إنها السابعة

-حمداً للهِ إذن؛

ساعةُ الحائطِ مخطئة

إنها السابعةُ وانتظار!٠٠

سأطلبُ قهوةً ريثما تأتي

وسأفكرُ في اختلافِ الشعراءِ عن فحوى

الأنوثة:

-هيَ كابتداءِ الأرض

-هيَ معطفٌ ورديّ يلبسهُ الطريق

-هيَ فكرةٌ تحتَ النقاش

facebook.com/the.Boooks

-هيَ طفلةٌ شرعيةٌ للمعرفة

وأفضّ خلافهم:

-هيَ السببُ الذي جعلَ القصائدَ ممكنة!..

تباً لهذا الانتظار

لن ينتهي أبداً

يهزأ بي:

أنا ها هنا..

أنا ها هناكْ..

ويكتبُ في الجدارِ الجانبيّ أشياءَ تؤلمني:

كخاطرةٍ تُبيّنُ لي وفاءَ الأصدقاءْ

ويكتبُ مَاجِد!

من نقَّحَ اسمي لي··؟

أنا لستُ مَاجِدْ!··

ربَما نطقتُ اسمي مَا جَدّ

ما جَدّ في صفتي على مرّ الزمان

مَا جَدّ من حزني عليّ

مَا جَدّ من جهلي بمعرفتي البسيطة!..

وقمتُ منزعجاً وعدلتُ الحروف جامدْ

هكذا أفضلْ!..

دَرَسَتْ معالمُ حبنا!..

دَرَسَتْ معالمُ قربنا يا مهجتي وغدتْ كشيءٍ سابقٍ بجوارنا

وتبددتْ أحلامنا بين الثرى ما بينَ أن نبقى وبينَ فراقنا

واللهُ يعلمُ كم حملتكِ داخلي أو كم دسسْتكِ عن عيونِ عذولنا

حقّ لمن مثلي بكاءُ يتيمةٍ يبكي بهِ ليلاً على موالنا

الآنَ أعلمُ أنّ وصلكِ قاتلي وكذا فراقكِ

قاتلَيْنِ لأجلنا!••

شعورُ ما بعدَ القصيدة!..

(١)

مضى حتى أخافتهُ الطرق

أوقظ المصباح من سباته

تحسّسَ الظلامَ وهوَ يتلاشى

طعمُ الهواءِ في فمهِ مألوفٌ هذهِ الساعة

أمسكَ رأسهُ حتى لا يسقط

مرّر فراغَ أصابعهِ على شعرهِ الفوضويّ

facebook.com/the.Boooks

فكرَ بصوتٍ غير مسموع:

كم كانت يدها أنعم

وارتمى في أحضانها

وعانقها بشدة

نسي المصباحَ مستيقظاً

اختلط الضوءُ بعينيه

ولمْ يبقَ سوى البياض

-حانَ وقتُ النعاس-

facebook.com/the.Boooks

ألقى بحضنها بعيداً

ونامَ واقفاً على بابِ الذكرى!..

رجلٌ أثقلَ سُكرُ ليلةِ الحبّ الأخيرةِ كاهله

(2)

اغتسلتْ من بقاياه

لكنّ إحساسَ اللمسةِ على صدرها ما زال

ترنحتْ بأنثويةٍ على جدارٍ ما

-شبه مائلةٍ-

أسندَتْ رأسها على يدها

وأسندتْ يدها على ذاتِ الجدار

تنهّدتْ بهدوء

facebook.com/the.Boooks

أكمَلتْ حديثَ الخطواتِ إلى الباب

أدارت المفتاحَ وأقفلتهُ مرّتينْ..

عادتْ إلى غرفتها

أخذت كوبَ الماء

وسكبتهُ على الأرض:

لِمَ لا أروي الأرضَ كما ارتوى مني

اتسعَتْ أحداقها

وعادت مسرعةً إلى الباب وَمرّتين

قالتْ في نفسها:

ربما سيعود؛ وعاد فعلاً

ليأخذ نظارتهُ فقط!..

لا وصفَ لهذا المشهد

(3)

أمسكَتْ ورقةً بيضاء

وقبّلتْ رُكنها الأيسر

-هذا توقيعها أحياناً-

غلّفتها بقطعةِ قماشٍ سوداء

هوَ فقط من سيطّلعُ عليها

مزَجتْ رائحةَ العطر بها

وبخطىً سعيدةٍ أودعتها صندوقَ البريد

يأخذها المعنيّ برسالتها

يبتسمُ من البياضِ وَقبلة

يبعثُ لها جوابهْ:

ماذا تعنينَ بهذا٠٠؟

يا لحماقتكَ يا رجلْ

facebook.com/the.Boooks

(4)

سقط

لكنّ سقوطهُ أسود

انتفضَ من كانَ حوله

فتشوا بخوفٍ:

في ما إذا كانَ السقوطُ سيؤذيهم

ضحكَ أحدهم باستهزاء

شتمهُ آخر

أصبحَ الوضعُ محتدماً

تلاقتْ أعينهم قليلاً بصمتْ

أكملوا حديثهم بإشعالِ سيجارة

تلاشى القلقُ سريعاً

مخلفاً وراءَهُ ذكرى فقط!..

ربما سقطَ كوبُ القهوة

(5)

تأمّلَ الحديقةَ الخاوية

حاولَ كثيراً

ومضى!··

لا ذكريات لهُ في هذا المكانْ

facebook.com/the.Boooks

(6)

أنهى صمتهُ الطويلَ معَ الورقة

تأملَ حروفهُ بأسفٍ

وربما برضى!..

استفرغَ شيئاً من الألم

أسندَ ظهره

ووضعَ يديهِ متصلتينِ على رأسه

ثمّ تنفسَ بعمقْ

facebook.com/the.Boooks

يشعرُ بعقلهِ ينبض

وتمتم:

نعمْ؛ هكذا ستكونُ النهاية

وخزٌ بسيطٌ في أناملهْ

وجوفٌ فارغٌ إلا من التعبْ

نامَ؛ واستيقظَ على فكرةٍ أخرى!..

شعورُ ما بعدَ القصيدة

يحبّ ناقتها بعيري!••

إلى دار الحبيبة يا عروقي خذي عيني

وضميها وسيري

خذي شوقاً برى كبدي وجنبي وأبدلَ عزّنا:

ذلَّ الأسير!••

فسيري يا عروق القلب فجراً وأقريها سلاماً

كالهجير

وقولي ماجدٌ أبداً طريحٌ :على أرضٍ من

الشوكِ الكثير

يُسلّي نفسه بالصمتِ حتى تفيض العين

بالدمع الغزير

أيا حباً تملّكَ كل شيءٍ وصيَّرَ مُلكَهُ ثوبَ

الفقير

يقومُ الليلَ سُهداً لم يجدْها فيعوي الذئبُ في

صدر الكسير

غدا من حبها بركانَ همٍّ وزاد البُعد مقدار

السعير

سعى في بعدها خالٌ وعمٌّ وأمٌّ قولُها أضنى

ضميري

وتسألُ هلْ تُحبّ؟ فقلتُ: جداً ومنها حَبّ

ناقتها بعيري!··

أهديكِ قلبي

الكفنُ وطنٌ أبديّ

وأنتِ أبديةُ حياتي الفانية

صدركِ الدافئ كفني!

أهديكِ قلبي على مرأى من الزمنِ

أهديكِ نبضاً يحنّ إليكِ؛ أرهقني

أهديكِ حُباً إذا ما زادَ:

سوفَ أموتُ؛ يسحقني

facebook.com/the.Boooks

أهديكِ إيّايَ

ما عدتُ أبغي حياةً لا أراكِ بها

أهديني التتمّةَ

أعطِني كفني!

جرحٌ عظيم

القلبُ أفلتَ رغمَ قسوتهِ زمامَه صارَ اتجاهُ

الخلفِ يا زمني أمَامَه!..

إن جاعَ يَشربُ ناسياً رغباتهِ وتراهُ في عطشٍ

أرادَ طعامَه

جرحٌ أتاهُ وقد تغيّرَ حالهُ ونسي من

الجرحِ العظيم منامَه

فتراهُ يمشي تائهاً مترنّحاً وكأنهُ قد قامَ يومَ

قيامَة!..

منذ الروح!..

في البدءِ أخرجُ من غروبِ قصيدتي

أقطعُ شاطئاً ملآنَ بي

في البدءِ تولدُ من شفاهِ الأرضِ امرأةٌ

ويفصلُ بيننا آثارُ خطواتٍ

سنرسمها لنبحثَ عن لقاء

إنّ البدايةَ سرّيَ العلنيّ!..

الحبّ هوَ أن يكونَ الليلُ وضّاءً

كقطعةِ مرمرٍ عكَسَتْ شعاعَ الشمسِ

فانبثقتْ على الحيطانِ أشكالٌ منمقةٌ

بدايتها كلونِ الطيفِ

أوسطها كقطعةِ لؤلؤٍ

الحبّ أن يبدو عليكَ النومُ؛ لكن لا تنام

عيناكَ مغمضتانِ؛ يصعدُ منهما لونُ الدخانِ

كفكرةٍ مضبوطةٍ لا تقبلُ التنفيذ

الحبّ؛

هوَ أن تكونَ اثنينِ في شخصٍ وحيد!••

أنثى؛ اختبار اللهِ!••

على مهلٍ يا قلبي

كم كنتَ تدرّبَ شفاهك

وكم مارسَ النبضُ عنكَ دوركَ الأبديّ

والآنَ فلتستلْقِ على راحتيها

بعيداً عن ألمٍ يُجبركَ على الإسراع

أو قلقٍ تشعرُ معهُ بأنكَ محاصر!••

على مهلٍ يا قلبي

ولتبدأْ أولى خطواتكَ

متشبثاً بضلعٍ ما

حتى تقفَ باتزان

وتنبضَ بلا ترنح

أعلمُ أنها امرأةٌ استثنائية

وأنها اختبارُ اللهِ لك!٠٠

وما حيلتكَ إن كانت جحافلها مستمرةُ

التقدم

وغزوُها لا يتوقفُ على مدارِ التفكير

على مهلكَ اكتبها في كتابِ الأرض

-حيثُ ما بقيَ في سطورهِ إلا أنت-

وامحُ ذاتكَ لأجلها

فالحبُّ هوَ أن تنكرَ ذاتكَ لتثبتَ ذاتَ الحبيب

هوَ أن تتبادلَ أعضاؤكَ وظائفها

أن تشعرَ بنبضٍ في أناملك

ووخزٍ في قلبك!..

أعلمُ أنكَ مائلٌ قليلاً

-حيثُ أنتَ الجنينُ الذي لا يولد-

والبارّ الذي لا يعصي إلا مرةً واحدةً

حينَ تفارقها وتموتْ!..

وأعلمُ أنها انتشلتكَ فوُلدتْ

ألم أشعرْ بك:

تكادُ تخرجُ مراتٍ عدة

وأنا كالأمّ التي تخشى عليكَ من الحياة

أعيدكَ وأربّتُ عليكَ / عليّ!..

أعلمُ يا قلبي مقدارَ توهجكَ الآن

وكيفَ تستعدّ كثيراً للقاءِ الثواني

وحينَ أخوضُ في حديثٍ معها

تدسّ نفسكَ بيننا

وتستمعُ بتفهمٍ:

ألا سبيلَ لكَ للنطق

وإن نطقت فوحدي أنا من يُترجمُ لغتك

وحدها مكوّناتي من تجسدُ ما تقول

وهيَ تسألني:

ما بالُ عينيكَ ترفّ؛ ويديكَ باردتين..؟

وأنا أجاهدُ انسحابكَ من أطرافي

ومن مراكزِ إحساسي

لتتمركزَ في انتصافٍ يؤهلكَ للاندفاعِ

خارجاً وبقوة!..

أعلمُ يا قلبي أنها أنثى

إذ لم توجد بتاريخِ آدمَ هيَ

كانَ من قبلها اقتباسٌ أو كناية

أو محاولةٌ لخلقِ جملةٍ أنثى فحسبْ!..

وأنتَ إذ تراها

تنتصبُ مستقيماً داخلي وتزاحمُ رئتيّ

فلم تعد إحداهما أكبرُ من الأخرى

ولِمَ أشعرُ بتسارعِ الأنفاس إذن

وحاجتي الشديدة للهواء٠٠؟

ولمَ لا يا قلبي

وهيَ التي تنطقُ بصوتٍ:

كتدحرجِ وردةٍ على البلاط!٠٠

وتضحكُ فلا تسمعُ إلا تنفسها

وتتمنى أنكَ في حالةٍ غازيةٍ

حتى تُسحبَ إلى الداخل!..

موسيقى أنتِ

عجزتُ في هذا الصباح أن أفسركِ

يا امرأةً تستنطقُ الأرضَ

فتجيبها بالورودِ والثلوج والينابيعِ

والأشجارِ والطبيعةِ والرياح والدفء

تجيبها بتضاريسِ الحياة!..

موسيقى أنتِ

فمفاتيحُ البيانو تُشكّلُ عالماً ينتهي

من ثمانين مفتاحاً

وأنتِ..

-يا سيدةَ القمرِ المُسّجّى

على قافيةِ امرؤ القيس-

عالمٌ لا مفاتيحَ لهُ ولا ينتهي!..

سيجارتي في قمةِ لذتها

فدخانها المُعتقُ بجسدكِ يبعثُ النشوة

ودفؤها داخلي

يتشكلُ كما تتشكلينَ صوتاً ونبرةً ونبضاً

وتسرينَ في جسدي

وتتسارعينَ مع النبض

كما يتسارعُ نموّكِ في خلاياي!..

آهِ من هذا الضوء

يحملكِ إليّ رويداً رويداً

مع بدء الشروق إلى المغيب

فتتسللينَ إلى عينيّ خلسةً

facebook.com/the.Boooks

وأنا أمهدُ لكِ الطريقَ فلا أنام

ولا أحتاجُ قيلولةً تمنعني عنكِ قليلاً

فأنا الذي اعتدتُ اندفاعكِ بي

كما تندفعُ النجومُ لسدّ ثغراتِ الليل!..

من أنتِ..؟

وكيفَ جئتِ إلى عالمٍ لا يليقُ بكِ

فهبوطكِ الأولُ إلى الأرضِ قديماً

كانَ لتكفيرِ الخطيئة

facebook.com/the.Boooks

وهبوطكِ الآنَ اختبارٌ

بل ابتلاءٌ للجمال

يا جنةً إذا نطقت عصافيرها:

أصيبتِ الأرضُ بحمى

وإن صمتت أنهارها

تدورُ وتدورُ كأنها حيرى!..

هذا الصباحُ برتابتهِ المنمقة

وأشيائهِ المبعثرةِ هنا وهناك:

facebook.com/the.Boooks

أنتِ ودفءٌ وَضَوءٌ ووضوح

إذ دائماً ما تكونينَ أول الأشياءِ ترتيباً

وأكثرها فوضويةً بي!..

رتبيني؛

وأعيدي تصويرَ أعضائي

فصوتي يميلُ إلى النطقِ بكِ

ويداك البسيطتان تلمسُ فيكِ أمانها

وعيناي في اتساعٍ متواصلٍ كي تحتويكِ

facebook.com/the.Boooks

الآنَ أعرفُ أني إنسانٌ بدائيّ

يجهلُ قراءةَ جمالكِ

ويختلّ إذا تذكرَ اتزانكْ

يا امرأةً تمتطي الزمن:

سوطها الأنوثة

ورحلتها الدلال

أنتِ ضميرٌ

مستترٌ

واضحٌ

مجنونٌ

يذهلني!··

ذاكرة الكوب

أدمنتُها تِلكَ العظيمة

التي ما مَرّ في تاريخِ الأرضِ سواها

-ساقٌ على ساقْ-

تِلكَ هِيَ جلستها

لكنّ جزءً بسيطاً من قدَمَيْها

يَحجبُ نورَ الشمسْ!..

آهِ كمْ يقضمُ الوقتُ أظافري

كأنهُ فمُ طفلٍ خائفٍ مقهورْ!··

وكمْ لعِبَ برأسي البُعدُ كأنهُ خمرٌ

يَعقِبُ شاربهُ نزيفٌ من أنفهْ!··

كمْ تصوّرْتكِ جانبي

وكمْ بكيتُ أحياناً من ابتِعادنا عنْ بعضنا

أهوَ الزمنُ منْ يفعلُ بنا فِعلَ الشوق··؟

كمْ هيَ قهوتي لذيذة

فقليلٌ منكِ في ذاكرةِ الكوبِ

تكفيني هذا الصباحْ!..

لأني دائماً ما أحتفظُ بالباقي منكِ

لقيلولتي؛ ابتسامتي؛ قصائدي؛ وباقي يومي

اليومُ الذي يُكررُ مخاضهُ بألمِ البُعدِ عنكِ

فيَبدأ بكِ كقهوةٍ ويَنتهي بكِ في مسيرةٍ مبجلةٍ جداً

تسيرُ فيها شفتيّ طويلاً بخيالها حتى تُعانقَ كفّيكِ!..

مَنْ لي بَعدَكِ..؟

مَقعدي باردٌ كأنْ لمْ يَجلسْ بهِ أحدٌ

وطريقي ما بينَ أوراقي ووسادتي يُشعِرُني

بالمللْ!..

وأعرفُ أنكِ تتقمصينَ الأرواحْ

فالعصفورُ الساكنُ بشُرفتي يَحملُ صَوتكِ

فقط لو أضفتِ عليهِ بُحّةً راقيةً

لأصبحَ أكثرَ إمْتاعاً؛ ولأصبحتُ أكثرَ

امتناناً!..

رسالتي طويلة؛ أشعرُ بي أكتبُ دونَ تَوقّفْ

facebook.com/the.Boooks

لكني أنهيها بكلمةٍ بسيطةٍ أقولها

وبإمكانها أنْ تملأ التاريخ بالأحداث

أحبكِ!••

مانشيتٌ عريضٌ في القصيدة

وأنتِ أنتِ

حينَ أكونُ أنا

في غيبوبةٍ شبهُ مائلةٍ للصحو

أهذي / أترنحُ / أضحكُ / أبكي

أسهرُ / أنامُ / أفيقُ مرتبكاً / أثملُ

أضحى / وأخْصرُ برداً

وأرتعشُ / وأدفأ / أقشعرّ!٠٠

وأنتِ أنا

حيثُ لا فرقَ بينَ الضمائرِ

سوى أنها تُشيرُ إلى أشياءَ مختلفة

وأنتِ مختلفةٌ / متعمقةٌ / منمقةٌ

مسودةُ فرحٍ / أغنيةٌ أبديةٌ

أولى / أخيرة

مانشيتٌ عريضٌ في القصيدةِ

بيتٌ يتيمٌ في البلاغةِ

إعلانٌ عن الأحياءِ بأنهمْ أحياء!٠٠

facebook.com/the.Boooks

لا أجيد الدمع

أنا لا أعرفُ البكاءَ يا أمي

هوَ صاحبي

لكنهُ يأتي بوقتٍ ضيقٍ:

قبلَ الغروبِ بساعةٍ أو ساعتين

أنا لا أجيدُ الدمعَ يا أمي

لكني بكيتُ من الصباحِ إلى المساءِ

إلى صباحٍ كانَ فيهِ الضوءُ أسود!..

والضوءُ يا أمي أخي

فأنا وُلِدتُ وكانَ يحملني ويفرحُ بي

والآنَ يركلني

ويَشرَقُ بي!..

أنا خارجُ الأيامِ والموتى

وقتي حبيسُ عقاربٍ تمشي على جسدي

وأنا خفيفُ الوزنِ

يرفعني الهواءُ إلى أعالي الكونِ

facebook.com/the.Boooks

وأنا ثقيلُ الذكرياتْ

رأسي يميلُ إلى اليمينِ

لأنّ ذاكرتي تكونُ على اليمينِ!٠٠

وعيني اليُسرى ترفّ جفونها

أهناكَ شخصٌ ما تذكّرني٠٠؟

أنا لا أجيدُ الدمعَ يا أمي

ولكني بكيتُ من الصباحِ إلى المساءِ

إلى صباحٍ كانَ فيهِ الحلمُ أبعد

والحلمُ سيدةٌ تعانقني

وتكسرُ أضلعي!٠٠

وأنا حزينٌ يا أبي

صوتكَ المملوءُ بالأيامِ

والمصلوبُ بالنسيانِ يُرهقني

كأني مُغمضُ العينينِ أسمعهُ

وأرحلُ في بلادٍ لا بلادَ لها

ولا أرى وجهي

فأينَ وجهي يا أبي

إني أراهُ ولا أراهُ

فأينَ وجهي..؟

كم قد بكيتُ من الصباحِ إلى المساءِ

إلى صباحٍ كانَ فيهِ الدفءُ أبرد

والبردُ أعرفهُ ويعرفني

ولكن لا نحدّثُ بعضنا!..

تعاريف!٠٠

الطريق؛ الأشياءُ التي لا تأخذني لكِ!٠٠

العطر؛ مفتاحُ الصناديق المغلقة

الساعة؛ القدمُ التي تستمرّ بركلنا

البعوضة؛ الأمرُ الوحيد الذي باستطاعتهِ

مقاطعة بكائك

الغمزة؛٠٠٠٠٠٠٠٠ وأسقط

القهوة؛ المناسبة التي لا تحتاجُ مناسبة!٠٠

facebook.com/the.Boooks

الوردة؛ يتيمةٌ تعرفُ أبوَيها

القلم؛ الأبكمُ الذي أنطقَ كلّ شيء

الغفران؛ أحياناً كثيرة يأتي على شكل لا مبالاة!

دُهنُ العود؛ الرؤوسُ ستنحني

الدعاء؛ لا إراديٌّ كالتنفس

الفقر؛ رُبّ أخٍ لكَ لم تلدهُ أمك

الصداع؛ الفكرة المرفوضة تماماً

الحبر؛ بَحْرٌ رَحْب

الموسيقى؛ أمي حينما تمسحُ على رأسي

الضباب؛ المكانُ المحصور بينَ حُزنين

الوحدة؛ الآخَرُ الذي سيجلسُ معك!٠٠

الجدة؛ الحصنُ الشامخ

الجدّ؛ الأبُ الذي لا يغضب

الأخت؛ صندوقُ أماناتٍ رائع

الأخ؛ الأصبعُ الذي لا يخطئ الوجع

الصديق؛ لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعَت ولا خطرَ

على قلب بشر

الصديقة؛ تكادُ تكونُ أماً

المسافة؛ القيدُ الذي يربطني في المنزل

الحبّ الأعمى؛ ساعة رمليةٌ ستقلبها

الوُدّ؛ اليدُ التي تربّتُ دائماً على أكتافِ الآخرين

النساء؛ عجَبٌ عُجابٌ لو ترى عيناكَ

الرجال؛ قفلٌ سهلُ الفتح؛ سهلُ الكسر؛

سهلُ الصهر؛

سهلُ الاستغناء عنه؛ سهلُ الحصول عليه؛

صعبُ المزاج!..

القصيدة؛ أنثى الكلمات لذلكَ هيَ جميلة

المرآة؛ أصدقُ المنافقين

العجَب؛ عُملةٌ لم تعُد تستخدم

المنديل؛ جبيرة العين

أنا؛ لماذا تركتَ الحصانَ وحيداً

الصدقة؛ زعفرانُ القلوب

الكلمة الطيبة؛ أعطوا أحسن منها أو رُدّوها

القهوة؛ نقطة تفتيشٍ بالأعلى

الزوجة؛ قدَمٌ في الدنيا وقدَمٌ في الجنة

الحسرة؛ أنفلونزا دائمة

الأغنية؛ تكلمي يا حبيبتي وأخبريهم!..

حينَ يسقط قلبك

(١)

الطرقاتُ ضيقة

وهوَ يسيرُ وحيداً في الليل

معطفهُ رماديٌّ متسخ

وسيجارتهُ نصفُ مُبتلّة

وهوَ يسيرُ باتزان

رغمَ أنّ الأرضَ لا تريدهُ فوقها

-هذا ما يقولهُ المطر المتساقط-

مهنتهُ الليلُ فقط

أو بمعنى أوضح

مهنتهُ السهر

وهوَ في ذلكَ يتقاضى أجراً مجزياً

علبةُ سجائرٍ ومتاهة!..

(2)

أربعةُ أشخاص يتناوبونَ الحديث

كأنهم يتناقلونَ خبراً لأول مرة

وكأنهم أيضاً لم يتحدثوا منذ زمن

أشارَ أوسطهم لشجرةٍ مهملة

وقال: هناك!..

مضى ثلاثةٌ منهم إلى حيثُ أشار

أما الرابعُ فتمدّدَ بسكينةٍ على الأرض

واستمعَ إليهم بهدوءٍ وهم يحفرونَ القبر!..

(3)

الفجر؛ هذا المخلوقُ الهامد كجثةٍ ضخمةٍ

تُزيحها الشمسُ عنها ببطء

وامرأةٌ على شرفتها تستقبلُ الدنيا

كأنّ الضوءَ يهبطُ منها إلى الشارع

فيمتدّ إلى المدينةِ من تلقاء نفسه!..

انحنَت إلى الأمام متكئةً على الشرفة

وأخرجَت نصفها لتتنفس

ووضعَت يدها على صدرها

خشيةَ أن يسقطَ منهُ شيء

هيَ لا زالت تتنفس

لا زالت تحلمُ بسعادةٍ تنتشلها

ولا زالت كذلك

حتى انفردَت أجنحتها

وطارت!..

facebook.com/the.Boooks

(4)

المنبهُ يرنّ

وهوَ لا زالَ نائماً أو متجاهلاً

-يُغمضُ عينيه ويُغلقُ أذنيه-

ويلعنُ داخلهُ هذا الصوت

وفجأةً استقامَ على الأرض

وبدأ في السير بخطى متثاقلة

أريدُ أن أنام

facebook.com/the.Boooks

أريدُ أن أنام....

هذا ما يقولهُ عقلهُ الآن

لكنهُ أكملَ طريقهُ إلى الأسفل

فتحَ بابَ القبو

وهبط على سلّمٍ خشبي يُصدرُ صوتاً

وحينَ أضاءَ المصباح

رفع طبقاً فارغاً من الأرض

ووضعَ بهِ ما تبقى من عشائهِ البارحة ومضى

facebook.com/the.Boooks

لم يكد يُغلق البابَ خلفه

حتى ارتفعَ صوتُ سلسلةٍ تُسحبُ على الأرض

ونظرَ بقليلٍ من اهتمام

إلى طفلٍ يتناولُ وجبتهُ الوحيدة!••

وبكى القمر!••

وأحياناً أكرهُ الكلمات

فأنا لا أكتبُ عن الحبّ

ولا أجيدُ كتابةَ الشوق أيضاً

التجرّدُ من الأمورِ البسيطةِ:

أمرٌ يحتاجُ منكَ صوماً طويلاً!••

وحينَ تفرّغتُ لكتابةِ ذاتي

-بعيداً عن الحالات الشبيهةِ ببعضها-

طرأَ أمرٌ ما؛ أجبرني على كتابةِ الحبّ

وعوّدني على كتابةِ الشوق

وأعادني إلى الأمور البسيطةِ التي تجرّدتُ منها!..

بعدَ هذا بأعوام أصبحتُ مستهلكاً

أحملُ جملةً بخطٍ عريض:

غيرِ صالحٍ للاستخدام الآدميّ!..

وركضتُ طويلاً على ساقين

ومنها تعبَتْ ساقيّ حتى ركضتُ على أربع

وصعدتُ جبلاً وعويتُ كثيراً

حتى عطفَ عليّ قمرٌ وبكى!..

كأنكِ الأرضُ!..

كأنكِ الأرضُ

كأنكِ ظرفُ الزمانِ / المكان

كأنّ الأرضَ إنْ ما كنتِ فيها

سوفَ ينقصها اتزان

وكأنكِ الأشياءُ في كلّ الزوايا

نبتةٌ بريةٌ

غصنُ داليةٍ

لقاءٌ أولٌ

فرحٌ

وُجوهٌ سوفَ تعكسها المرايا

-كأنكِ التاريخ يَرويهِ الزمان-

كأنكِ قطعةٌ هبطَت لوجهِ الأرضِ

تحملُ فوقها حواءً الأولى

فأوْرَقَت الجِنان!..

وكأنكِ أنتِ

facebook.com/the.Boooks

فالضميرُ المستعارُ سيستعيركِ بُرهةً!..

ولأنّ الأرضَ لا زالت تدورُ

سأشعرُ بالدّوار

بها وبكِ؛ وأشعرُ بانهيارْ

يا مهدَ الحضارة

يا انقسامَ الغيم في برقٍ ورعد

يا انتصارات العرب:

مُضرٌ وعَبسٌ والجليلة

يا نسلَ تغلبَ أو مَعد!٠٠

ولأنّ وجهكِ فضةٌ

والليلَ عيناكِ

فأنا قطفْتُ الحلمَ

كان مُعلّقاً فوقَ السحاب

وكانت الأشياءُ حولكِ صامتة

-لأنّ عينكِ في اتساعٍ دائمٍ-

وكنتُ أسقطُ دهشةً

أو كنتُ أسقطُ هكذا

لا لشيءٍ

بلْ لأنّ الأرضَ حولكِ ساقطة!..

وأنت إذ تمشينَ

تُشبهكِ الحياة

ممشاكِ أرواحُ تُسبّحُ

والمجرّةُ غَيّرَتْ عاداتها

لتصيرَ أقرَب

facebook.com/the.Boooks

كيف أذهب..؟

وأنا صريعٌ في يديكِ

إن همَستِ يُضيءُ حلمٌ

وإن ضحكتِ

صارَ ماءُ البحر أعذب!..

مُدّي يديكِ؛ واسأليني:

هل ستشرب..؟

بل سأسكرُ

بل سأصرخُ طالباً قيداً

وأربطني إليكِ

وأمامَ عينكِ سوف أُصلب!٠٠

وكأنكِ الأرضُ

كأنكِ أمّها تلكَ الطبيعة

وأنتِ سرُ لا يُحلّ

فلَمْ يُفكرْ فيهِ إنسانٌ

ولا مَلَكٌ ولا جانّ!٠٠

أنت أغنيةٌ

بدايتها

نهايتها

بكاءُ صومعةٍ

نشيدُ الحبّ

شكلُ الروحِ في المرآة

ضوءٌ في جدارِ الكون

ثقبٌ ضيقٌ في الوقت

أستلّ منهُ دقائقاً وأموت!••

أنتِ الأرضُ والميلادُ

وساعةُ الذكرى

ونظراتُ الحنين!••

كأنكِ إذ كأنكِ أنتِ

أنت أنا!

أرقٌ لذيذ

أعلمُ كثيراً أنكِ تنتظرين مني

ما يشفع لي أمامَ جمالكِ

أو أنْ أقدّمَ شيئاً يسترعي انتباهكِ جيداً

وينقذ هذهِ العلاقة بيننا من الهدوء!..

وأفكرُ في ثقبٍ كبيرٍ تحملهُ السماء

يَتسعُ للاهوتٍ يَهبطُ إليكِ كلّ يوم

ونظنهُ شُعاعَ الشمس!..

ولا أستطيعُ كتابةَ ما بي

فأنتِ أرقٌ لذيذٌ يُكملُ ليلتي

واشتياقٌ جامحٌ أخافُ أنْ أتلفظَ به

وتؤمنينَ أني لا أتخلى عنكِ

رغمَ عدم امتلاكي لما أقدّمهُ لكِ

ورغمَ إفلاس رصيدي من الكلمات!..

لماذا ألعنُ كلّ شيءٍ سواكِ حينَ أسمع

صوتكِ..؟

وأتصبّبُ عرقاً حينما تضحكين••؟

وأنهي كل مكالماتنا سريعاً••؟

خوفاً من رتابةِ حروفي

وفقر حكاياي من إشباع أذنيكِ بشيءٍ

أقرب إلى الباهتِ منهُ إلى العاديّ!••

أيُعقلُ أنْ تكوني امرأةً حقاً••؟

وأنْ يكونَ صوتكِ خارجاً من طبقةِ صوتٍ

معروفة••؟

أيُعقلُ أنْ يكونَ الطينُ فينا مشتركاً

بفارق اعوجاجٍ يُرجّحُ الكفّةَ لكِ ويُطيحُ

بي..؟

هادئةً كانكسار الشروق

الآنَ وقبلَ أن أغفو

لا بُدّ أن أسترجعَ ذاكرتي

وأرجوها ألا تمارسَ النسيانَ على ملامحك

ولا بد أن أتذكرَ جيداً

أنّ عليّ مقداراً منَ البكاءِ المفروض يومياً

وأنّ عليّ انتهاكَ حقي المشروع في الهدوء

فأُثيرُ ضجةً وشغَباً وسَخَطاً مُسالماً داخلي

احتجاجاً على عدم وجودنا سوية!..

ولا بدّ أيضاً من إنكار أجزاءٍ من الحقيقة

تلكَ الحقيقةُ التي تقول إنهُ منَ المستحيل

على الإنسان التواجد في مكانين مختلفين

في ذاتِ اللحظة؛

وأنا في ذاتِ لحظةِ الإنكارِ

أتعجّب من كوني مُوزعاً بينَ هُنا وأنتِ

-إذ إنّ اعتباركِ ظرفَ مكانٍ أمرٌ جائز-

فعقلي لديكِ

وتفكيري مُنصَبٌّ فيكِ

وكذلكَ قلبي الذي أشعرُ بهِ يخفقُ بطمأنينةٍ

داخلكِ!..

وأعلمُ تماماً أنّ حروفي لا تحرّكُ ساكناً في أيّ

شيء

ولا أعتبرُها سوى مُجازفةٍ أخرى تبوءُ

بالفشلِ

كزجاجةِ رسائلٍ أهملَ البحرُ إيصالها!..

أينَ أنتِ الآن٠٠؟

هادئةً كانكسارِ الشروقِ على النافذة

نائمةً كسحابةٍ طافيةٍ في السماء

مطمئنةً من أنْ لا أحدَ يُنازعكِ عرشَ الجمال

وموقنةً أنّ في لحظةِ انطفاءِ تفكيركِ:

في اختيارِ رَجُلٍ يليقُ بكِ

اشتعلَتْ هنالكَ قلوبُ الملايين من الرجال

لإرضائك!٠٠

سأموت في هذا المساء

لو قيل أني سوفَ أصبحُ شاعراً

لاخترْتُ قافيةَ العزاء

فكلّ بيتٍ في مُخيّلتي

سيبقى فترةً تكفي لشقّ الروحِ

ويَخرجُ من فمي بيتاً يضايقني

وأهزّ محبرتي؛ يُساقِط حبرُها

حزناً عتيّاً!..

لو قيل لي ستموتُ في هذا المساء

لنهضْتُ من وقتي لأقرأ

ثم آخذُ غفوةً أنسى بها الطينيّ بي

وأفيقُ مُندهشاً من البطءِ الشديدِ بعقربي

وأمَلُّ من طولِ النهارِ

أمَلُّ من طولِ انتظاري

وأموتُ حياً!..

لو قيلَ لكْ

إنّ المحبةَ حَيّةٌ وستقتلكْ

فابعَثْ لها غاردينيا

ولفافةً من تبغ

واصحَبْها إلى رقصٍ بهيٍ

ثمّ داعِبْهَا قليلاً

ربّما ألغَتْ مُخطّطها

أو ربّما ستؤجلك!..

لو كان لي

بيتٌ زجاجيٌ لهُ بابٌ وحيد

لعَدَلْتُ عن بابي

وآثرْتُ الخروجَ معَ الضياءِ كما أتى!••

facebook.com/the.Boooks

ضرورة

ولا بدّ لي من اعترافٍ

يأخذُ شكلَ المغفرة

ويُتلى كذَنبٍ أخيرٍ

لرجلٍ بائسٍ

لا تعني له الحياةُ حياةً

ولا يُشكّلُ مَوتهُ فارقاً

أو حدثاً مُهمّاً!..

facebook.com/the.Boooks

كرنفالُ من نبض

يا إلهي··

كم كانَ صوتكِ دافئاً هذا اليوم

وضحكتكِ التي لا بُدّ أنْ تستنشقي معها

الهواءَ بشدّة

كادَتْ أنْ تُطيحَ برأسِ صَبري

لأبوحَ لكِ بما أخبّئهُ عنكِ منذُ أمد!··

أنا أشعرُ بانتمائي لكِ

انتماءً لا يَقبلُ المساومة

ولا يَرضى بالتراجعِ عن فكرته!..

أنثى أنتِ

قادرةٌ على خلقِ ابتسامةٍ

واغتيالِ حُزن

وصُنع كرنفالٍ من نبض!..

يا إلهي..

كم أعشقُ صوتكِ

وأنا الذي أفكرُ بدَمعةٍ فيه

وأرتلُ ذاكرتكِ بإخلاصٍ على فراشي

أتمنى أنْ أغفو على هدوءِ نبرتكِ

لتنسابَ جزئياً داخلي رُويداً رُويداً

وكأنما نعاسكِ سائلٌ يَتكثفُ في أذني

وأتذكرُ جيداً ملمَسَ كفيكِ

وارتعاشَ أناملكِ خجلاً

تلكَ الأناملُ التي أراها كأعوادِ كبريتٍ

تأذَنُ باشتعالِ جسدي!٠٠

وأريدُ أنْ أتخذَ شكلَ الريح

لأُحيطَ بجسدكِ جيداً

معَ خاصيةِ الرّؤية

لأني أرفضُ شعوركِ بي دونَ رُؤيتي!٠٠

كم أنتِ مُقدّسةٌ جداً

لكِ في كلّ ليلةٍ شعائرُ وطقوسٌ خاصة

إذ دائماً ما أتلو بعضاً منكِ قبيلَ نومي

facebook.com/the.Boooks

وأنثرُ بَعضكِ الآخرَ على سريري

وأحلمُ منكِ بخصلةِ شَعرٍ

كي أضَعَها على منديلٍ حريريٍ أبيضٍ

ثمّ أرقصُ في حلقةٍ دائريةٍ ليغشاني دفؤكِ!..

أشتاقكِ جداً

وحينَ تكونين جانبي لا أجيدُ استعمالَ صوتي

وكثيراً ما ينتهي حديثي إليكِ بحرفين

يستخدمهما المصابونَ بالدهشة

facebook.com/the.Boooks

فأقولُ انتبهي عليكِ جيداً؛ ها

كأني أجرّبُ صوتي

كأني أدحرجُ حُنجرتي في الهواء

لتَصدُرَ عنها بعضُ الطلاسم!..

وعلى عكسي تماماً

تتحدثينَ بثقةٍ

وتحدُثُ جرّاءَ صوتكِ ارتباكةٌ في مفاصلي!..

ليست جميعُ النساءِ كأنتِ ولستِ كجميعِ النساء

أنتِ الحلَقةُ المفقودة

التي تُوصِلُ سلسلةَ الجمالِ ببعضها!••

وشأني فيكِ شأنُ الهواءِ في المخلوقات

إلا أنها علاقةٌ عكسيةٌ تماماً

فأنتِ لا تحتاجينَ هواءً يَدخلُ رئتيكِ

بلْ هُوَ مَن يحتاجكِ ليَملأَ ذاتهُ بالزّهو!••

حلمي باتَ مُؤرقاً

أحلمُ باحتوائكِ بينَ ذراعيّ

لأغرقَ باللذة

فأنتِ أحييتِ ثلاثةً مني وبي

قلبي وبصيرتي وقلمي!..

حقٌّ مُضاع

لهفي على حق ٍ مُضاعٍ طالبُه والصدقُ أيضاً

حينَ عُيِّنَ نائِبُه

فالصدقُ صقرٌ في الأعالي سارحٌ والكذْبُ

صيدٌ سوفَ يهوي صاحبهُ

والكذْبُ لا يُثنَى عليهِ؛ وإنما يُثنَى على رَجُلٍ

إذا هوَ عائبُه

تبقى الذنوبُ إذا اسْتُتِبْتَ صغيرةً إلا لكذْبٍ

حينَ يؤتى كاذبُه

فإن استُتِيبَ فليسَ يُنسى كذْبهُ وكأنما في

صخرةٍ هوَ كاتبُه!..

facebook.com/the.Boooks

أشياء لا يتهمها أحد

أريدُ خمسةَ أشياءَ تثبتُ وجودي

رابعُها حجةٌ واضحةٌ ليمَرّ بي كلّ هذا الحزن

وأموتُ قبلَ أن أعرفَ الخامسة!..

الأسبابُ التي أدّتْ إلى موتي ليسَتْ واضحةً

أبداً

أنا أولُ صرخةٍ في هذا العالمِ لم تُسمع

ضجيجٌ يختصرُ المسافةَ

بينَ أولِ هبوطٍ بيدِ آدم

وآخرِ صعودٍ بيدِ الملائكة!٠٠

كدتُ أبلغُ الخمسينَ من عمري

والسبعينَ من قلقي

كدتُ أبلغُ ما لم يبلغهُ ذو القرنين من قبل

إلا أنّ مارداً ذا بطنٍ متسعٍ عرقلَ بلوغي

وخبّأني داخله!٠٠

يا سيداتَ الحفلِ شكراً

شكراً للذينَ أحبهم

يا سادةَ الحفلِ شكراً

شكراً للذينَ أحبهم

أريدُ نهايةً مُرّةَ المذاق

كخطابٍ طويلٍ مملٍ كئيب

أريدُ خمسةَ أشياءَ تُثبتُ وجودي

ثالثها غيرُ مفهومٍ إلا لي

كحزني الآن

كبقيةِ الأشياءِ التي تتركُ أثراً

دونَ أن يتهمها أحد!..

ضحكَ الزمان

مَرّ الزمانُ على السراجِ وضوئهِ لو كانَ يخشاهُ
الزمانُ لما انطفأ

أو كانَ يخشى المرءَ حينَ شبابهِ ما صارَ شيباً
في ملامحهِ اختبأ!..

وطأَ الزمانُ على المعالِمِ كلها وعلى الأمورِ
وكلّ شيءٍ قد وطأ

ما كانَ يُعجزُ كلّ مَرءٍ حَلّهُ فالوقتُ يُنهي كلّ
أمرٍ قد بدأ

لكَ في ديارِ الأكرمينَ علامةٌ منْ بعدِ دهرٍ إنّ

قِدْرَهُمُ انكفأ

حتى الحديدُ إنْ استزادَ صلابةً ضحكَ الزمانُ

بنبرةٍ فيها صدأ!

ينقصني غياب!..

أحياناً أتساءلُ عن سببِ هذا

كأني لم أجد الطريقَ إلى عقلي

الثكناتُ تملؤني كحالةِ حرب

أو كحالةِ حبّ..

وحدي من يعرفُ الفرقَ بينَ شيئينِ

يلتقيانِ مرةً كلّ ألفِ عام!..

وحينَ يأتي الفجرُ بكاملِ أناقته

أعرفُ الفرقَ بيني وبينَ رجلٍ ليليّ!..

الليلُ؛ المهنةُ؛ القلقُ؛ السيجارةُ؛ الكتابة

كلّ هذهِ الأشياءِ تجعلني أنسى كوبَ القهوةِ

بضعةَ أيام

وتجعلني أتذكرُ مزاجاً عَكِراً

وأفتقدُ صخبَ الأطفالِ في طريقهم إلى

المدرسة!..

أريدُ عكازاً كانَ لأعمىً مسنّ

أن ألمسهُ وأعرفَ مقدارَ الهدايةِ به

أن أتحسّسهُ بشيءٍ من الانكسار

فيُخبرني بقدرةِ الأعمى على الصبر

أريدُ عكازاً مليئاً بالحكايا

مليئاً بالوحدةِ آخرَ الليل

مليئاً بشجرةٍ لمْ يتسنَّ لها إرضاعهُ لفكرةٍ

كافية!..

كلّ هذا الحزن الذي يملؤني

والذي يبرزُ عني كجذعٍ جافّ

كلّ هذا السّهر الذي جرّبني

حتى استفرغَ مني شيئاً طرياً لا زالَ

ينبض!..

كلّ تلكَ الأشياءِ التي تحومُ في الأعلى

-أعلى رأسي تماماً-

وتريدُ أن تأكل

ليسَت كافيةً لأموت

ينقصني غيابٌ واحد

غيابٌ واحدٌ لتكتملَ نبوءتي

هكذا؛ اكتمالٌ يجعلني أقفُ بينَ بحرينِ:

وأسألُ الشاطئَ عن أمرٍ محرج!..

ينقصني غيابٌ أخير

لذنبٍ لم أقترفه

لأبٍ لا يعرفني

لامرأةٍ أحاولُ جاهداً

أنْ أعرفها / أنْ تعرفني

غيابٌ أخيرٌ كسحابةٍ

لا تعرفُ شكلها القادم

ظلّ القمر

هذا مساءٌ يضعُ

الأمورَ في نصابها

ويضعكِ كالعادةِ

أولَ الترتيب!..

كيفَ أصبحُ ظلاً للقمرْ

في ظلّ وجودِ فضاءٍ حولي

إنّ الأمامَ مبتدأٌ

والمبتدأُ خبرْ

آهِ ما أطولَ السفرْ

إلى عينيكِ

وما أقصرَ العمرْ

حينَ أقيسُ المسافةَ بينَ شفتيكِ

وأحتاجُ جيشاً يحميني

حتى لا أفنى

عندما تخلعينَ شالكْ!..

ضميرٌ يُشير إلى كلّ شيء

هيَ؛ وأنا لا أتحدثُ عن امرأةٍ هنا

بل عنِ الضميرِ الذي يُشير إلى شيء

أو الضميرُ الذي ينوبُ عَنّا في كلّ شيء

لكنهُ باختلافٍ بسيطٍ بوجودها

يكونُ ضميراً متصلاً جداً

راقياً جداً

ذكياً جداً

كأنهُ ضميرٌ يتحدثُ عن نفسه

ويُثبتُ نفسهُ أيضاً

حتى إن نطقناهُ لنعبّرَ عنها في حالةِ الغائب:

حَضَرَتْ؛ وحَضَرَتْ معها كلّ الأشياءِ التي

نعرفها!..

لكنّ الذي نجهلهُ لعَظَمَتِهِ رغمَ معرفتنا به

هوَ أنّ هيَ ضميرٌ حيٌّ واضحٌ جداً

لأمي!..

facebook.com/the.Boooks

أشياء

1

حتى الذينَ يُحلّقون

-الذينَ في الأعلى-

يترّبّصونَ بفريسة!..

2

هذا الصغيرُ الذي يُسمى حزن

انسلخَ عن جسدي ذاتَ ليلةٍ واشتهر!..

facebook.com/the.Boooks

3

من الغدِ سأصبحُ أسداً وآكلُ رأسي

4

الهذيانُ حكمةٌ لا يُعيرها الآخرون أيّ

اهتمام!..

5

عندما تظاهرَ بالموتِ

لم يكُنْ من ضمنِ خُططهِ

facebook.com/the.Boooks

أنْ يَعرفَ مَنْ افتقدهُ

أو مَنْ نعاهُ ألفَ ليلة

كلّ ما في الأمرِ أنهُ كانَ يريدُ

معرفةَ نوع الحيواناتِ التي تأكلُ الجيفة!٠٠

6

تمنى أنْ يُصبحَ صوتاً فقط

واجتهدَ كثيراً لتحقيقِ هذا

وعندما نجحَ في ذلكَ ماتَ بسرعة

فقد استمرّتْ حياتهُ لمُدةِ كلمة!••

7

الوقتُ كفيلٌ تماماً بإزالةِ العقربِ الأكبر!••

8

أنا ابنُ رجلٍ يبدأ بحرفٍ لا يُقرأ

وأمٍ تنتهي بكلمةٍ لا ينطقها الكاذبون!••

9

اللهُ يمحو ما يُدنسهُ الكلام!••

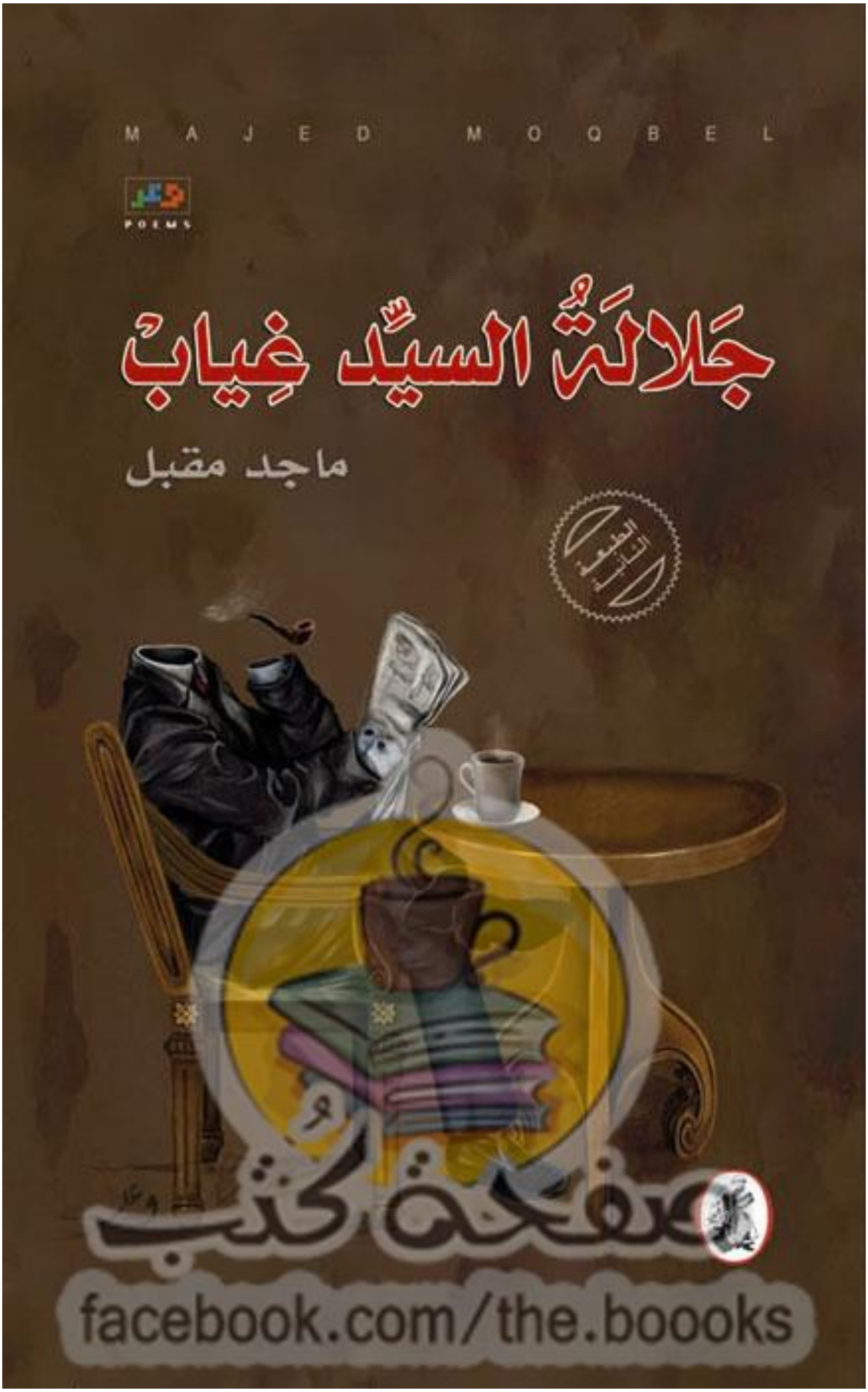
MAJED MOQBEL
POEMS
جلالة السيد غياب
ماجد مقبل
صفحة كتب
facebook.com/the.boooks